وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــــة ابن خلـــــدون تيارت
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم علم الاجتماع

سند بيداغوجي في مقياس الظاهرة الحضرية

موجهة إلى طلبة السنة الأولى ماستر
تخصص علم الاجتماع الحضري

إعداد: د. بوطيبة عبد الغني.

السنة الجامعية 2022-2023

فهرس المحاضرات

عنوان المحاضرة	الصفحة
مقدمة	**01**
المحاضرة الأولى: الإطار المفاهيمي للظاهرة الحضرية	
سوسيولوجيا الظاهرة الحضرية	**03**
المدينة	**03**
التحضر	**06**
الحضرية	**07**
الحضر	**08**
النمو الحضري	**08**
المحاضرة الثانية: تحليل الظاهرة الحضرية عبر الزمان والمكان	
الظاهرة الحضرية في الفكر العربي	11
الظاهرة الحضرية في الفكر الغربي	20
الاتجاهات النظرية الحضرية	26
التحليل البنائي الوظيفي للظواهر الحضرية	38
المحاضرة الثالثة: الرهانات التي تواجه المجتمعات المعاصرة	
المشكلات الحضرية	**42**
الرهانات الحضرية	**43**

المحاضرة الرابعة: أشكال التجمعات الحضرية المعاصرة	
أشكال التحضــر	**46**
خصائص المجتمع الحضري	**48**
أشكال المدن المعاصرة	**51**
أسباب ظهور المدن	**55**
وظائف المدن	**57**
المحاضرة السادسة: نماذج عالمية ومحلية للمدينة	
المدن في العصر القديم	**63**
المدينة الرومانية	**64**
المدن في العصور الوسطى	**64**
المدينة الإسلامية	**65**
المدينة المغاربية	**67**
الظاهرة الحضرية في الجزائر	**69**

مقدمة:

تأسست "السوسيولوجيا الحضرية" كفرع من فروع علم الاجتماع في أوائل القرن العشرين، على يد رواد مدرسة شيكاغو التي ظل إرثها وتأثيرها حاضرين في السوسيولوجيا منذ ذلك الحين وإلى اليوم، سواء على مستوى منهجية البحث أو على مستوى المفاهيم المستعملة، من خلال اسهام الجيل الأول للمدرسة (طوماس وبارك وبيرجيس وورث وماكنزي)، والجيل الجديد ابتداء من منتصف الخمسينيات (بيكر، كرنفينكل، وكوفمان، أ. ستراوس). ورغم ذلك فإنَّ أعمالهم شكلت امتداد لأعمال رواد السوسيولوجية الحضرية الأوروبية الذين مهدوا لمدرسة شيكاغو، خاصة إميل دوركهايم وماكس فيبر، وجورج زيمل. فالمدينة كما نعرفها اليوم عرفت إقلاعها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، في الوقت نفسه الذي تم فيه اكتشاف "الاجتماعي"، على يد أولئك العلماء، الذين هم في الآن نفسه رواد السوسيولوجيا ورواد التفكير السوسيولوجي في المدينة، حتى وإن لم يجعلوا منها بعدا محوريا في أعمالهم.[1]

إنَّ مسألة تبيان وتوضيح ما يعنيه مفهوم الظاهرة الحضرية أمر يحتم تناول واستعراض مختلف المضامين والمدلولات التي ارتبطت بمفهوم الظاهرة الحضرية التي تعددت واختلفت وتعارضت في بعض الأحيان، ويُعزى هذا الاختلاف والتباين في آراء المفكرين والعلماء إلى تباين منطلقاتهم الفكرية، وقد ساهم هذا التباين والتنوع في وجهات النظر إلى إثراء وتراكم معرفي حضري مكن من إلقاء الضوء على الظاهرة الحضرية من كل جوانبها وأبعادها على نطاق واسع.

[1]– عبد الرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2016، ص 14.

المحاضرة الأولى:

الإطار المفاهيمي للظاهرة الحضرية

1. سوسيولوجيا الظاهرة الحضرية

2. **المدينة**

3. التحضر

4. الحضرية

5.الحضر

6. النمو الحضري

المحاضرة الأولى: المفاهيم المرتبطة بالظاهرة الحضرية

1. سوسيولوجيا الظاهرة الحضرية:

تُعرف سوسيولوجيا التحضر بأنها فرع معرفي داخل الحقل السوسيولوجي بصفة عامة، يهتم بدراسة الظاهرة الحضرية، وبدراسة الأنماط الثقافية والاجتماعية في الحياة الحضرية. ويفسر كذلك المظاهر المميزة للحياة الحضرية وتأثيرها على المواقع الاجتماعية للأفراد. كما يهتم بمقاربة إشكالية نشأة المدن وتطورها والإشكالات التي تترتب عن التوسع الحضري. ويعتبر التقسيم الطبقي السائد داخل المراكز الحضرية أحد المواضيع والإشكالات الأساسية التي تحظى بالاهتمام من طرف علم الاجتماع الحضري.

كما عرف كل من جوزيف رويسك ورولاند وارن علم الاجتماع الحضري بأنه " الفرع الذي يهتم بدراسة الحضرية المتلازمة مع المدنية وما تشمله من سمات لسكان المدينة وتنظيماتهم وأنشطتهم المؤسسية الخاصة بهم وعمليات التفاعل الأساسية. كما تحدث عن الحياة الحضرية وتأثير التغير الاجتماعي على المدينة والمشكلات المختلفة التي تواجه المجتمع الحضري".[1]

تحدد التعريفات السابقة موضوع علم الاجتماع الحضري هو الظاهرة الحضرية، المدينة باعتبارها فضاء ومسرح غني بالتفاعلات الاجتماعية والظواهر الاجتماعية، حيث يهتم علم الاجتماع لحضري، بدراسة المؤسسات والبنى الحضرية ومقاربة السلوك الاجتماعي للأفراد وما يفرزه من تفاعل داخل الوسط الحضري، ورصد العوامل المتحكمة في وظائف تشكله من خلال علاقته بالثقافة والمجال الحضريين.

2ـ المدينة:

لقد واجه علماء الاجتماع صعوبات في تعريفهم لمفهوم المدينة، نتج عنها بعض الملابسات التي تكتنف مفهوم المدينة لدى الباحثين، فبعضهم اتجه لاعتبار المدينة مفهوما

[1] سعيد أحكد هيكل، مرجع سابق، ص16.

تجريديا يشير للعناصر الأساسية التي تتضمنها والتي تتكون منها، ومن ثم ينظرون للمدينة باعتبارها محك الاداء الوظيفي لتلك العناصر مجتمعة ومتكاملة، والتي تشكل نمطاً حضارياً خاصاً[1]. وعموماً لا يمكن أن يكون تعريف المدينة واحداً شاملاً ينطبق على كل المدن في كل البلاد وفي كل الحضارات، وهذا راجع بالأساس إلى تباين وتنوع المعايير المعتمدة في تحديد المدينة، ويبقى الاتفاق على كونها تنظيم اجتماعي يتكون من مجموعة من النظم والأنساق الاجتماعية داخل تنظيم إيكولوجي معين.

ترجع كلمة مدينة أصلا إلى كلمة "دين" كما ورد في المعاجم اللغوية، وأن لهذه الكلمة بهذا المعنى أصلا في الآرامية والعربية أي أنها ذات أصل سامي وعرفت المدينة عند الآكدين و الآشورين بالدين أي "القانون"[2]، وكذلك "دَانَ" وهي جذر مفهوم الدين وتعني خضع وأطاع. كما ترتبط المدينة بالإقامة بالمكان "مَدَنَ بالمكان"، و" دين" أيضاً المكان الذي تقام فيه الحدود يرتبط بمسألة العدالة والقضاة والقانون[3].

أما ابن خلدون فقد أوضح في تمييزه بين البادية والحضر أنه "ومن هذا العمران ما يكون بدويا، وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلل المنتجعة في القفار وأطراف الرمال، ومنه ما يكون حضريا، وهو الذي بالأمصار والقرى والمدن للإعتصام بها والتحصن بجدانها"[4].

جاءت اسهامات العلماء العرب والمسلمون في تحديد مفهوم المدينة والحضرية مرتكزة على الجانب التنظيمي والأمني من الناحية القانونية، وهذا ما يتفق مع الاسهام الغربي من خلال الاتجاه التنظيمي ماكس فيبر كعنصر محدد للمدينة والحضرية.

---

[1]– سعيد أحمد هيكل، علم الاجتماع الحضري، دار أسامة، الأردن، 2011، ص87.

[2]– محمد عبد الستار، المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، الكويت،1988، ص15.

[3]– عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية، مراجعة نوري عباس العلواني، بغداد، 1986، ص303.

[4] – عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، اعتناء ودراسة أحمد الزعبي، دار الأرقم، بيروت، 2001، ص67.

يعرف أحمد كمال وكرم حبيب المدينة على أنها " ظاهرة اجتماعية يعمل أغلب سكانها في مهن غير زراعية تنعكس آثارها في شؤون حياتهم، فتتنوع مهنهم وتتعدد مراكزهم الاجتماعية والاقتصادية وتتباين تبعاً لذلك علاقاتهم وأنظمتهم و أنماط اتصالاتهم ووسائل معيشتهم"[1].

أما السيد عبد العاطي السيد فيرى أن المدينة هي" نظام اجتماعي في حالة دينامية وحركية مستمرة، فالعلاقات بين عناصرها ومكوناتها، وعلاقتها بالأنظمة الأشمل هي على نحو دائم عرضة للتغير"[2].

أما التحديد الغربي للمفهوم من خلال المدارس المتعددة، فقد بدأ أكثر تحديداً مع المدرسة الايكولوجية شيكاغو، وخاصة لويس ويرث Writh الذي تعتبر أعماله من أهم الاسهامات التي مكنت من بلورة مفهوم المدينة والحضرية، حيث اعتبر أن المدينة وحدة اجتماعية لها أنماطها وأنساقها المميزة لها عن الوحدات الاجتماعية الأخرى، من خلال مجموعة من الخصائص كالروابط الثانوية وتنوع الأدوار الاجتماعية، وعدم التجانس وسيادة الضوابط الرسمية بالإضافة للكثافة وحجم السكان. كما يعتبر أن هذه الخصائص هي الأساس المحدد للتنظيم الاجتماعي الحضري والسلوك في المجتمع الحضري[3].

إقترح قرافماير Y. Grafmeyer تعريفاً للمدينة تضمن " هي في آن واحد الأراضي والسكان، والإطار المادي ووحدة الحياة الجماعية، تكوين الأجسام المادية وعقدة العلاقات بين الموضوعات الاجتماعية"[4].

---

[1]– أحمد كمال وكرم حبيب، علم الاجتماع الحضري، دراسة بنائية ووظيفية لمجتمع الحضري، دار الجيل، القاهرة، 1985، ص76.

[2]– السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، دار المعرفة، الاسكندرية، 1984، ص13.

[3]– سعيد احمد هيكل ، مرجع سابق، ص88.

[4] – Jean–Marc Stébé, Herve Marchal, *La sociologie urbaine*, Presses universitaires de France, coll. Que sais–je ?, Paris,2007, P17

2. **التحضر:**

مفهوم يشير إلى "عملية" كما ارتبط بمعاني كثيرة منها الإشارة إلى حركة السكان من المناطق الحضرية، وما يتبع ذلك من تزايد نسبة السكان المقيمين في المناطق الحضرية. كما يشير أيضا إلى انتشار أنماط السلوك وأساليب الفكر الحضرية[1].

كما عُرِف التحضر بأنه عملية ونتيجة في آن واحد، فهو من عمليات التغير الاجتماعي، تتم عن طريق انتقال أهل الريف أوالبادية إلى المدينة وإقامتهم بمجتمعها المحلي، ومن ثم يكسبون تدريجيا أنماط التحضر إذا تم لهم امتصاص الأنماط الحضرية، حيث أنهم يتكيفوا حضريا أي تتحول أساليب معيشتهم إلى طريقة أهل المدن، وقد يحدث التحضر بصورة مخالفة حيث تغزوا الأساليب الحضرية الريف وقراه بأية صورة من الصور التي ينتج عنها امتصاص لقيم وأنماط التحضر.

وقد ذكر جيرالد G.Breese تعريفا للتحضر قال فيه " إن التحضر عملية تغير كمي وكيفي معا تؤدي إلى تحولات كثيرة في خصائص وسمات ووظائف المجتمعات المحلية (المدن والبلدان) كما يرى أن فهم تلك العملية يستدعي ضرورة عقد المقارنات المختلفة بين الدول أو بين المراكز الحضرية في البلد الواحد.[2] أما تيسدال H.Tisdale التحضر بأنها عملية تركز السكان وهي ذات جانبين هما: تعدد نقاط التركز، وزيادة حجم التركز الفردي[3].

أما لويس ويرث Writh فقد ذهب في تعريفه للتحضر بأنه مجموعة من النظم الاجتماعية والاتجاهات التي تتواجد عندما يتعايش الأفراد بصفة دائمة في جماعات كبيرة الحجم كثيفة السكان ومتميزة مهنيا.[4]

---

[1] – السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص115.

[2] – عبد الرؤوف الضبع، علم الاجتماع الحضري، دار الوفاء، الإسكندرية،2003، ص13.

[3] – محمد عاطف غيث، مرجع سابق، 463.

[4] – عبد الرؤوف الضبع، علم الاجتماع الحضري، قضايا واشكاليات، دار الوفاء،2003، مصر، ص17.

كما قدم الدكتور عبد المنعم شوقي تعريفا للتحضر حيث أنها" العملية التي تتم زيادة سكان المدن عن طريق تغير الحياة في الريف إلى حياة حضرية أو عن طريق هجرة القرويين للمدن الموجودة، بما في ذلك التغيرات التي تحدث لطبائع وعادات وطرق معيشة سكان الريف"[1].

عملية التحضر عند ابن خلدون هي الانتقال من الحاجيات الضرورية إلى الكمالية في المعاش بتغير طرق الانتاج من الزراعية الى الصناعية والتجارية.

3ـ الحضرية:

مفهوم يشير إلى "طريقة الحياة المميزة لأهل المدن، الذين يتبعون أسلوباً أو نمطاً معيناً في حياتهم وهو أمر يتعلق بالسلوك اليومي، فالناس يتكيفون نفسياً مع متطلبات وحاجات المدينة وأحد مظاهرها هذا التكيف هو الذي جعل سلوكهم مطابقاً لسلوك الحضريين[2].

ويعرفها كاستل Castell بأنها " نمط المعيشة وطريقة الحياة والسلوك وفق نسق من القيم والمعايير والمواقف ونظم من التفكير"[3]. أما الحضرية عند ويرث Writh فهي مفهوم يشير إلى حالة أوكيفية أو"طريقة للحياة"، من المتصور أن تكون خاصية مميزة للمدينة أو المجتمع المحلي الحضري[4].

أما الحضرية فتعني عند ابن خلدون مرحلة متقدمة ومتطورة في جميع جوانب الحياة الإنسانية، وهي تعني المجتمعات الإنسانية وتطور العلوم والصناعات والتجارة والحياة الأدبية وتنوعها بحيث تنعكس كلها على حياة الجماعة والأفراد[5]. فهي تعني المعاش الكمالي في جميع مناحي الحياة، الذي يبتعد عن الاعتماد على الطبيعة ويقوم على الصناعة والتجارة .

---

[1] – عبد المنعم شوقي، مجتمع المدينة، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص23.

[2]– عبد الرؤوف الضبع، مرجع سابق، ص65.

[3] – Castell, vers une théorie de la planification urbaine,maspero,Paris,1997,P 25.

[4] – السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، دار المعرفة، الإسكندرية، 2008، ص114.

[5] – عبد الحميد بوقصاص، النماذج الريفية الحضرية لمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي الحضري، د.م.ج ، الجزائر، د.ت.، ص103.

ويعرف محمد عاطف غيث الحضرية أنَّها نماذج الثقافة والتفاعل الاجتماعي التي تنجم عن تركز عدد كبير من السكان في مناطق محدودة نسبيا، وتعكس الحضرية تنظيم المجتمع في حدود تقسيم العمل المعقد، ومستويات التكنولوجيا، والتنقل الاجتماعي السريع، والاعتماد المتبادل بين أعضائه في أداء الوظائف الاقتصادية، والعلاقات الاجتماعية غير الشخصية[1].

4 ـ الحَضَر:

يشير في اللغة إلى الحاضرة، وهي الأمصار والمدن والقرى والريف، حيث الإقامة والاستقرار الدائم وما يصاحب ذلك من احتراف السكان لحرفة تكفيهم في معيشتهم على الدوام كالتجارة والزراعة والصناعة.[2] ويميز ابن خلدون بين البدو والحضر بقوله "فيتخذون القصور والمنازل (..) ويختلقون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فِراش أو آنيةِ أو ماعون ، وهؤلاء هم الحَضَرُ، ومعناه الحاضرون، أهل الأمصار والبُلدان"[3].

6 ـ النمو الحضري:

يشير النمو الحضري إلى نمو المدن سكانياً وعمرانياً ووظيفياً وخدمياً أي هو الزيادة في عدد السكان الحضر الناجمة من عاملين أساسيين هما: الزيادة الطبيعية في سكان المدينة، والهجرة اليها من الريف المجاور والمدن الاخرى.[4]

و يشمل مفهوم النمو الحضري فضلا عن الزيادة في اعداد السكان الحضر، على النمو الهيكلي والاقتصادي والوظيفي أي أن النمو الحضري لا يكون نمواً حضرياً بزيادة السكان (المجتمع الحضري) مالم يرافقه تطور في المؤسسات الاجتماعية والخدمية والاقتصادية والثقافية حتى يمكن أن ندعوه نمواً حضرياً متكاملاً.

---

[1] – محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص462.

[2] – عبد العال الشامي، جغرافية المدن عند ابن خلدون، نقلا عن عبد الحميد بوقصاص، ص153.

[3] – ابن خلدون، مرجع سابق، ص149.

[4] يحيى عبد الحسن، النمو الحضري وأثره في اتجاهات التوسع العمراني في مدينة السماوة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، جامعة القادسية،2008، ص ص،11–12.

ويرافق حجم المجتمع الحضري المتزايد عادة توسع مجالي أو توسع عمراني أو توسع حضري (Urban expansion) تلبية لحاجات السكان الأساسية المتمثلة باستعمالات الأرض الحضرية كالسكنية، والتجارية، والصناعية، والخدمية، والترفيهية وغيرها.

المحاضرة الثانية

تحليل الظاهرة الحضرية عبر الزمان والمكان

1. الظاهرة الحضرية في الفكر الاجتماعي العربي
2. الظاهرة الحضرية في الفكر الاجتماعي االغربي
3. التصورات النظرية للظاهرة الحضرية
4. الأسس المنهجية لتحليل الظاهرة الحضرية

المحاضرة الثانية تحليل الظاهرة الحضرية عبر الزمان والمكان

تمهيد:

تعتبر ظاهرة التحضر من أهم معالم التغيير الاجتماعي، حيث ينعكس تأثيرها على مختلف النظم الاجتماعية المكونة للبناء الاجتماعي؛ فالتحضر لا يقتصر على الجوانب المادية والاقتصادية فقط، بل يمتد إلى الجوانب الحضارية والثقافية حيث تعقد نسق التدرج الاجتماعي. ولقد حدث تغير مهم في نمط العلاقات الاجتماعية والقيم والاتجاهات والمعايير ووسائل الضبط الاجتماعي، هذا ما أدى في الأخير لتكون ونشوء نمط معيشي جديد تجسد في نسق المجتمع المتحضر أو الحضري، كما امتد تأثير هذا المجتمع المتحضر ليؤثر خارج حدوده ويتطور في عملية ديناميكية مستمرة.

هذا وقد شهدت الدول الصناعية الغربية تحضراً متسارعًا خلال القرن العشرين، ثم ازدادت وتيرة هذا التسارع بعد الحرب العالمية الثانية بحصول معظم الدول النامية على استقلالها السياسي. فعملية التحضر لا تزال واقعة مستمرة ما يزال الكثير من مصاحباتها ومشكلاتها يمثل واقعا ميدانيا حيا يعيشه المجتمع المعاصر.

نحاول رصد أهم معالم ظاهرة التحضر نظريا وتطبيقيا وذلك من خلال التطرق بدايةً إلى موقع الظاهرة محل الدراسة في الفكر العربي، وكذا الفكر الغربي ثم دراسة أهم التوجهات المعاصرة بخصوص هذه الظاهرة، ليليه بعد ذلك الحديث عن خصائص المجتمع المتحضر ثم أنماط التحضر وأشكاله، وأخيرا تناول الموضوع نظريا بالتعرض للتحضر في المجتمع العربي عموما والجزائر خصوصا.

1. التحضر في الفكر العربي:

يمكن الانطلاق من عرض أهم اسهامات المفكرين العرب عن مفهوم المدينة للكشف عن خصائصها وملامحها، من خلال محاولاتهم تحديد الأسس والنظريات التي يجب على الحاكم

المسلم إتباعها فيما يختص بسياسة العمران بقصد توجيه وإرشاد سياسة الحاكم تجاه تخطيط المدن، وقد خلف هذا الاهتمام بالفكر العمران تراثاً تراكم باسهامات جملة من العلماء من الفارابي (950-874) ، بالمسعودي (896- 957) والمِقْدَسي(932-1030) ومسكويه (932-1030) ابن خلدون (1332 1382) كابن أبي الربيع، ابن حزم، القزويني، الماوردي، ابن رضوان، ابن الأزرق، ابن خلدون. شكلت المدينة إطاراً حقيقياً للتفكير والتنظير والتحليل.[1]

1.1.ابن خلدون:

يميز العلامة ابن خلدون في تقسيمه لأنواع المجتمعات البشرية (العمران) بين مجتمع بدوي مقابل مجتمع حضري فيقول: "ومن هذا العمران ما يكون بدويا وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلل المنتجعة في القفار وأطراف الرمال، ومنه ما يكون حضريا وهو الذي بالأمصار والقرى والمدن للاعتصام بها والتحصن بجدرانها."[2]

ويُرجع ابن خلدون اختلاف شكل العمران وأحواله – البدوي والحضري – إلى طبيعة نمط المعيشة السائد في المجتمع؛ " فاختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش."[3]

إن اختلاف مصادر الإنتاج التي ترتبط بطبيعة الأرض من حيث الخصب والجدب هي التي أدت إلى اختلاف شكل العمران وأحواله، حيث أن الضرورة التي دعت الناس إلى الاجتماع هي تحصيل الغذاء والتعاون على كسب العيش، وبالتالي فمن الضروري أيضا أن تختلف

[1]– خليف مصطفى غرابية، منهجية الفكر الاسلامي في تخطيط المدينة العربية الاسلامية، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 8، العدد01، 2015، ص188.

[2] – عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ص 71.

[3] – نفس المرجع، ص 148.

أشكال هذا الاجتماع وأنماط هذا التعاون باختلاف الطريقة أو الوسيلة التي تفرضها الظروف الطبيعية على الناس في الحصول على عيشهم."[1]

على أساس هذا الاختلاف، تختلف طرائق الناس في كسب عيشهم، فتختلف لذلك أحوالهم الاجتماعية. وانطلاقا من هذا الاختلاف يمكن تصنيف الجماعات البشرية إلى أربعة أصناف:

أ- سكان البادية: الذين يعيشون على الإبل خاصة ويعتمدون على التنقل والترحال.

ب- سكان المناطق الخصبة من السهول والتلال والجبال: يعيشون من نتاج الحيوانات خاصة الماشية والبقر، ومن نتاج الأرض.

ج- الذين اتسعت أحوالهم المعيشية بعض الشيء، فاستقروا في المدن والأمصار والقرى والمداشر، يعيشون من الزراعة أو مما يشتغلون به من المهن والصناعات.

د- الذين ازدادت لديهم أحوال الرفاه والدعة، المنغمسون في رغد العيش وعوائد الترف.

ويعتبر ابن خلدون الأصناف الأولى الثلاث مجتمعات بدوية (أ- البدو الأقحاح، ب- نصف البداوة المنتجعون، ج- الزراع) أما الصنف الأخير فهم الحضر.[2]

أ. التحضر الطبيعي (غير المباشر والتدريجي):

في تصنيف ابن خلدون للبداوة يميز فئة المزارعين الذين يهتمون بالزراعة أكثر ما يهتمون بتربية المواشي، وبالتالي هم أكثر تعلقا بأرضهم وأقل تنقلا. وهم يسكنون خاصة الجبال والسهول الواسعة المجاورة للحضر، مما يجعلهم في علاقة مستمرة معهم. وهذه الفئة من البدو هي التي تضاهي إلى حد كبير سكان المدينة، إذ أنها تتيح الانتقال الطبيعي من العمران

[1] – محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة 6، بيروت، د.ت، ص 146.

[2] – عبد الغني مغربي، الفكر السوسيولوجي عند ابن خلدون، تعريب محمد الشريف بن دالي حسين، دار القصبة، الجزائر،2006، ص131.

البدوي إلى العمران الحضاري؛[1] حيث أن تجمعهم يقتضي ضرورة تأمين أمنهم، ولكي يتمكنوا من المدافعة على أنفسهم، يضطرون إلى بناء أسوار تصون أمنهم. وبهذا تكون قد تشكلت مدينة صغيرة داخل هذه الأسوار، "ومتى حصل على الرياش الذي يحصل له به أحوال الترف وعوائده عاج إلى الدعة وأمكن نفسه إلى قيادة المدينة، وبالتدريج يتم تحسين وتطوير أدوات العمل فتشيد مدينة حقيقية."[2] وشكل هذا التحضر يخضع لقانون التطور الذي يستلزم كثيرا من الوقت،[3] حيث يتم الانتقال من النمط البدوي إلى النمط الحضري بصفة تدريجية.

ب. التحضر السياسي (المباشر والسريع):

يرتبط بالبدو الأقحاح ونصف البدو المنتجعين الذين يعيشون في الصحاري والقفار، فهم دائمو التنقل، كثيرو الترحال وأشد توحشا. كما أن ظروف معيشتهم القاسية أثرت على طباعهم وأخلاقهم وأنماط سلوكهم، حيث أن جدب الأرض وخلوها من الأرزاق جعلهم يعتمدون على السلب والنهب كمصدر للعيش؛ "فمن كان من هذه الأجيال أعرق في البداوة وأكثر توحشا كان أقرب إلى التغلب على سواه (...) ولا بد أن يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية (....) وصاحب العصبية إذا بلغ إلى رتبة طلب ما فوقها."[4]

ولما كانت غاية العصبية هي المُلك، فإن القبائل التي تتلاحم في شكل عصبيات تصبح عصبية واحدة كبرى تضاهي قوة الدولة، فإن أدركت الدولة في مرحلة ضعفها تغلبت عليها وانتزعت الملك منها "حتى تكافئ بقوتها قوة الدولة، فإن أدركت الدولة في هرمها ولم يكن لها

[1] – عبد الغني مغربي، مرجع سابق، ص132.

[2] – نفس المرجع، ص ص 132–133.

[3] – نفس المرجع، ص 134

[4] – عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ، ص167.

ممانع من أولياء الدولة أهل العصبيات استولت عليها وانتزعت الأمر من يدها وصار الملك أجمع لها."[1]

وبالتالي تتوصل القبائل . التي حققت الغلبة على باقي العصبيات والتحمت جميعا بها في عصبية واحدة كبيرة . إلى أن تتحضر من خلال تأسيس دولة.

2.1.**ابن أبي الربيع:**[2] يعتبر ابن الربيع من طلائع من كتبوا في أسس وشروط اختيار موقع المدينة العربية الاسلامية، وشروط تخطيطها، فقد تناول في مخطوط " سلوك المالك في تدبير المماليك" الذي ألفه للخليفة العباسي المعتصم (الخليفة الثامن)، حيث تعرض في الفصل الرابع لأقسام السياسات وأحكامها، وذكر السبب الموجب لاتخاذ المدن والداعي الى اقامة السياسة في العالم لينتقل الى اركان المملكة، وهي عنده أربعة أركان، الملك، الرعية، العدل، التدبير.

كم بين أهم الشروط والمبادئ التخطيطية التي يجب أن يراعيها الحاكم والتي قسمها الى قسمين:[3]

تتحدد المواقع الصالحة لإنشاء المدن بجملة من المعايير وهي: سعة المياه، توفير الغذاء، اعتدال المكان وجودة الهواء، توفر الزرع والمرعى، التحصين من الأعداء، أن يحيط بها سور للحماية.

حدد ابن الربيع ثمان أسس في إنشاء المدن يجب مراعاتها من طرف الحاكم وهي: تسهيل موارد المياه العذب للناس دون عناء، تخطيط الطرق والشوارع بما يتوافق مع الحركة، اتخاذ مركز المدينة لبناء المسجد لتسهيل حركة المصلين، أن يقدر أسواقها حتى يسهل على الناس قضاء حوائجهم، التميز بين الناس في المناطق السكنية، اتخاذ سور للمدينة، أن ينقل اليها من أهل العلم والصنائع حتى يلبي احتياجات السكان واستغنوا عن الخروج منها.

---

[1]– . عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مرجع سابق، ص169.

[2]– ابن أبي الربيع: احمد بن محمد بن ابي الربيع . شهاب الدين، عاش ما بين 218 . 327هـ الموافق 733. 842م في زمن الخليفة العباسي المعتصم (الخليفة الثامن).

[3]– خليف مصطفى غرابية، مرجع سابق، ص 190.

3.1.القزويني:[1] تطورت الجغرافيا العربية الإسلامية في القرن السابع الهجري، وأصبحت لها فروع وتصانيف دقيقة مثلما وضع ياقوت الحموي كتابه (معجم البلدان). وقد برز القزويني في هذه المدة من خلال كتابيه الشهيرين، فقد اشتمل كتابه (آثار البلاد وأخبار العباد) على كثير من المعلومات الجغرافية المفيدة عن أقطار العالم الإسلامي، وبعض الأقطار الأوربية والآسيوية والأفريقية المحيطة بالعالم الإسلامي، فتكلم عن البحيرات والأنهار والعيون، والتضاريس والثروة الزراعية، والحيوانية، والصناعة والمعادن.

ويعتبر كتاب آثار البلاد وأخبار العباد من أهم مؤلفاته وقد ضمّنه القزويني ثلاث مقدمات، الأولى: عن الحاجة إلى إنشاء المدن والقرى، والثانية: في خواص البلاد، وتأثير البيئة على السكان والمعادن والنبات والحيوان، والثالثة: عرض فيها لأقاليم الأرض المعروفة آنذاك، وخصائص كل منها، كما يضم هذا الكتاب أخبار الأمم وتراجم العلماء والأدباء والسلاطين، وأوصاف الزوابع، والتنين الطائر أو نافورة الماء وغير ذلك. دعا القزويني إلى التأمل في آيات الله في خلقه، وبديع صنعه، تماشيًا مع ما أمر به القرآن الكريم من النظر والتأمل في السماء والأرض. وإنَّما المراد في النظر الدراسة والتفكير في المعقولات والنظر في المحسوسات، والبحث في حكمتها.

كما بيَّن كيفية تشكل المدن والحاجة الداعية الى احداث المدن باعتماده مفهوم " الهيئة الاجتماعية"، فالصناعات بعضها موقوفة على البعض وعند حصول كلها يتم الهيئة

[1]– القزويني: أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود القزوينى، عالم مسلم عربي قزويني المولد حجازي الأصل. يرتفع نسبه إلى الإمام مالك بن أنس عالم المدينة .ولد في عام 605 وتوفى عام 682 هجري. رحل في شبابه إلى دمشق ثم ذهب إلى العراق واستقر بها وتولى القضاء وكان ذلك في خلافة المستعصم العباسي واستمر في منصبه حتى سقطت بغداد في يد المغول، الف الكثير من الكتب في مجالات الجغرافيا والتاريخ الطبيعي وله نظريات في علم الرصد الجوى، كما شغف بالنبات والحيوان والطبيعة والفلك والجيولوجيا.

الاجتماعية، كما حدد عناصر المدينة الاسلامية في ذكره:" وفي البلاد الاسلامية المساجد والجوامع والأسواق والخانات والحمامات"[1].

4.1. ابن الأزرق:[2] إنَّ أهمية ابن الأزرق تبرز في عطائه العلمي في كتابة الفريد "بدائع السلك في طبائع الملك" وموضوعه السياسة العقلية والشرعية والاجتماع البشري، وقد احتوى القسم الأكبر منه على الأخلاق والممارسات التطبيقية التي مرّ عليها ابن خلدون مروراً محدوداً فكان مكملاً لمقدمته. توفي في القدس يوم الإثنين السادس عشر من شوال سنة تسع وتسعين وثمانمائة 899 هـ – 1491م.

تناول في الفصل الثاني " في اختيار المنازل الحضرية للاجتماع " تضمنت خمسة عشر مسألة من كتاب بدائع السلك في طبائع الملك، حيث حدد شروط اوضاع المدن بدفع المضار (الارضية والسماوية) وجلب النافع والمرافق التي تلبي حاجيات السكان من ماء ومرعى وزرع[3]، كما ذكر أسباب خراب المدن والأمصار"إذا انحرف الحضري عن استقامة دينه ودنياه بما ينطبع في نفسه من صبغة العوائد الموجبة لذلك ، فظاهر أن ذلك مستلزم لفساد المصر وخرابه [4]."

5.1. الفرابي والمدينة الفاضلة:

يعتبر الفرابي[5] الفيلسوف العربي أول من تبلور لديه مفهوم متكامل للمدينة الفاضلة من منظورٍ عربيٍّ إسلامي، ويعرف الفارابى المدينة الفاضلة: بأنَّها المدينة القائمة على التعاون

---

[1]– زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، عجايب المخلوقات وغرايب الموجودات، تر وتحقيق محمود عبد الإله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2013. ص05.

[2]– ابن الأزرق: هو أبو عبدالله، محمد، بن علي، بن الأزرق، الحميريّ، الأصبحي، الأندلسي، الغرناطي، المالقي. ولد ببلدة "مالقة" عام 831 هـ – 1428م أو 1429 م، وهي إحدى ولايات غرناطة آنذاك. عالم اجتماعي سلك طريقة ابن خلدون.

[3]– ابن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ج2، تحقيق علي سامي النشار، دار السلام، القاهرة، 2008، ص700.

[4]– المرجع نفسه، ص711.

[5]– أبو نصر محمد بن طرخان الفرابي (259 هـ 339 هـ) المعروف بالفارابي نسبة إلى المدينة التي ولد فيها (فاراب) وهي مدينة تركية، وهو ثانى الفلاسفة العلماء فى الحضارة الإسلامية بعد الكندى.

على الأشياء التى تنال بها السعادة وهى تشبه الجسم الصحيح الذى يتعاون كل أعضائه على تتميم الحياة وحفظها، وسكان المدينة الفاضلة لهم صفات مشتركة وكل فرد منهم له معارف وأعمال تختلف عن غيره[1]. ويرى الفارابى أن أفراد المدينة الفاضلة لا تتحقق سعادتهم ولا تصبح مدينتهم فاضلة إلاَّ إذا ساروا على نفس نهج رئيسهم.

وقد نعت مدينته هذه بهذا الاسم ليميزها بذلك عن المدن الفاسدة التي يقسمها إلى أربع مدن مضادة للمدينة الفاضلة وهي: المدينة الجاهلية والمدينة الفاسقة والمدينة المتبدلة والمدينة الضالة وغيرها من المدن، وقد سجل أسماءها وخواصها في كتابه حيث ذكر خواص كل مدينة من هذه المدن وعلاماتها الفارقة وميولها من خير أو شر، والتي تناول فيها قضية شكل الحكومة المثلية والنموذج الأعلى لنظام الحكم في هذا العالم، بالإضافة للصور المثلى للتعاون بين أفراد المجتمع من أجل مدينةٍ فاضلةٍ يسود فيها العدل، وينعم سكانها بالسعادة، وتُمكِّنهم فضائلهم من الصمود في مواجهة المدن الجاهلة، وبالتالي بلوغ الكمال من خلال تحقيق هذه المدينة الفاضلة. يشبه الفرابي المدينة الفاضلة بجسم حي ثم يأخذ في شرح أهمية كل عضو من أعضاء هذه المدينة، ويتوصل من ذلك إلى نظرية يضعها هي نظرية التفاوت بين قابليات الأفراد وبين قابليات العناصر البشرية وبين قابليات الحكام والأتباع، وهي نظرية عامة يطبقها حتى على المعايير الأخلاقية والقواعد الأدبية والاجتماعية.

ويتشابه هذا التمثيل بما يذهب الشيخ ابن عليوة في تحديده لعلاقة الفرد بالمجتمع في قوله " هذا الخطاب من شأنه أن يورث أتباع الشيخ وخاصة المتجردين منهم الرضا بما يؤدونه من مهام مادامت قيمة كل واحد بأدائه لما يحسنه من الأعمال ويكرس الطبقية الاجتماعية ويفرض احترامها على أساس أنها فطرية وضرورية لانتظام الحياة، وفي التسليم والرضا بذلك سعادة الفرد والمجتمع " فهو يرى أن الناس ثلاث طبقات بحسب حركاتهم الفكرية والبدنية،

[1]– عبد الرزاق عيسى، الفرابي في رحلة البحث عن المدينة الفاضلة، www.almasryalyoum.com تاريخ الزيارة 2016/10/11.

فأعلى طبقة على مستوى الحركة الفكرية هم العلماء من رجال الدين، أما أعلى مستوى الحركة البدنية فيمثلها ذوي النفوذ السياسي والمالي والجاه.[1]

[1]– ساعد خميسي، محاضرة بعنوان ابن عليوة والفلسفة، من كتاب التربية والمعرفة في مآثر الشيخ العلاوي، ص 221.

2. الظاهرة الحضرية في الفكر الغربي:

إن مسألة تبيان وتوضيح ما يعنيه مفهوم التحضر أمر يحتم تناول واستعراض مختلف المضامين والمدلولات التي ارتبطت بمفهوم التحضر والتي تعددت واختلفت وتعارضت في بعض الأحيان، ويُعزى هذا الاختلاف والتباين في آراء المفكرين والعلماء إلى تباين منطلقاتهم الفكرية، وقد ساهم هذا التباين والتنوع في وجهات النظر إلى إثراء وتراكم معرفي حضري مكن من إلقاء الضوء على الظاهرة الحضرية من كل جوانبها وأبعادها على نطاق واسع، ويمكن تلخيص هذا التنوع للتصور السوسيولوجي الحضري فيما يلي:

1.2. التصور الديموغرافي:

يعتبر هذا التصور أهم مقاييس عملية التحضر، فما هو حضري وفقا لهذا التصور إنما يشير إلى تجمعات سكانية من حجم معين. وقد عرف التحضر بهذا التصور في حدود ارتباطه بالتركيز السكاني كما عرف في حدود الاتجاه إلى زيادة التركيز السكاني في المدن والمناطق الحضرية، فقد ذهبت هوب تسيدال H.Tsidal في تعريفها لظاهرة التحضر إلى أنه عملية تتضمن حركة للسكان من حالة أو موقف أقل تركيز إلى أخر أكثر تركيزا.[1]

ومن ثم يمكن اعتبار تزايد السكان الحضري مؤشرا إحصائيا لقياس عمليات التحضر،

وهذا ما ذهب إليه كينجزلي دافيز إذ يعرف التحضر بأنه نمو السكان الذين يعيشون في المدن في مجتمع معين.[2] وبالتالي يرتبط مفهوم التحضر بالسكان الحضريين من حيث تزايدهم وزيادة حجم المراكز الحضرية.

[1] –محمد ياسر الخواجة، علم الاجتماع الحضري بين الرؤية النظرية والتحليل الواقعي ، دار الإسراء، 2008 ، ص19.

[2] – محمد ياسر الخواجة، مرجع سابق، ص18.

كما ذهب كل من بانكس Banks وكار Carr في تحليلهم لعملية التحضر إلى التركيز على الجانب الكمي للظاهرة حيث يقولان: "على الرغم من أهمية الاعتبارات الكيفية التي لا يمكن إنكارها، إلا أنه لابد من أن نلجأ إلى تعريف كمي للتحضر، والذي يقصد به مجموع الأفراد الذين يعيشون في المدن على اختلاف أحجامها مقارنا بسكان المجتمع ككل."[1]

لقد ركز أصحاب هذا التصور على تبيان الجانب الكمي لظاهرة التحضر، بتأكيدهم على عامل الحجم السكاني والذي يعتبر في نفس الوقت وسيلة لحدوث عملية التحضر.

2.2. التصور الاقتصادي:

وهو الاتجاه الذي غلب على معظم الدراسات الحضرية الغربية والتي ذهبت في تحليلها لعملية التحضر بالتركيز على الارتباط بين عملية التصنيع والتحضر، حيث ينظر إلى التحضر على أنه "العملية التي تحدث بالمجتمع نتيجة ظهور النشاط الصناعي وسيادته بالنمط الحضري وتستند إلى مقومات رئيسية أهمها: ملائمة البيئة الطبيعية ووفرة الموارد الاقتصادية، واتساق البنيان الاجتماعي والإطار الثقافي. وينجم عن هذه العملية الاستغلال الأمثل للموارد الطبيعية والاقتصادية وتحول أنساق البناء الاجتماعي من مضمونها التقليدي إلى إطارها المحدث."[2] فوفقا لهذا الاتجاه، فإن التحضر يمثل مرحلة متقدمة من مراحل التطور الاقتصادي، التي تجسدت في الانتقال والتحول من مرحلة الحياة الاجتماعية القائمة على أساس العمل والإنتاج الأولي إلى حالة قائمة على أساس الصناعة والتجارة، وبالتالي تحول إلى تنظيمات اقتصادية أكثر تعقيدا.[3] ومن ثم تم اعتبار العامل الاقتصادي كوسيلة في إحداث عملية التحضر، وقد ترجم هذا التصور في أفكار وصياغات كثير من المفكرين، وتعتبر دراسة جراس N.S.B.Gras من أهم الدراسات التي عنت بالبعد الاقتصادي في تفسير عملية التحضر حيث أوضح علاقة

---

[1] –فهمي سليم العزوي وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق، عمان،2006 ،ص328.

[2] –عبد الحميد بوقصاص، مرجع سابق، ص 146.

[3] –السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص106.

التطور الاقتصادي بأنماط التوطن والاستقرار البشري على مر التاريخ.[1] كما اعتبر أن أهم العوامل التي أدت إلى دخول البشرية في مرحلة أكثر تقدما عن طريق التحضر هو تطور الزراعة كنمط معيشي ثم استمرار المراحل التطورية في هذا النمط المعيشي.

كما اعتمد لامبارد E.Lampard نفس المراحل التطورية التي حددها جراس، حيث اعتبر أن المدينة الحديثة ما هي إلا نتاج مباشر للتزايد السريع والمتواصل في الإنتاج الزراعي، بالإضافة إلى إدخال المجال التكنولوجي الصناعي وتراكم رأس المال في اقتصاد الإنتاج الزراعي والتجاري،[2] وبالتالي فإن عملية التحضر ترتبط بتطوير نسق اقتصادي تدعمه تكنولوجيا صناعية متقدمة.

3.2. التصور الايكولوجي:

يتجسد هذا التصور في أعمال مدرسة شيكاغو التي عُرفت بأعمال ثلاثة من رواد علم الاجتماع في أمريكا هم روبرت بارك وأرنست بيرجي ورودريك كينزي، تلك الأعمال التي وضعت الإطار النظري العام التي انطلقت منه العديد من الدراسات الهامة مثل دراسة لويس ويرث وروبرت ريدفيلد وغيرهم.

يؤكد أصحاب هذا التصور على عامل السكان والمكان أو متغير الحجم والكثافة وإبراز العلاقة القائمة بينهما من حيث التوزيع والاستغلال في تفسير الحياة الحضرية استنادا إلى مفاهيم ايكولوجية، كما أن عدد سكان المنطقة يلعب دورًا أساسيا في تحديد طابع التنظيم الاجتماعي السائد فيها؛[3]حيث يرى لويس ويرث أن المجتمع الحضري الذي يتميز بالحجم

---

[1] – السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص106.

[2] –نفس المرجع، ص107.

[3] –السيد الحسيني، المدينة، مطابع سجل العرب، ط1، القاهرة، 1980، ص115.

والكثافة واللاتجانس هو الأساس المحدد للتنظيم الاجتماعي للسلوك. ويقترب من رأي ويرث ما ذهب إليه ردفيلد الذي اعتبر أن اللاتجانس والاتصال هما الأساس المميز للمدينة.[1]

ووفقا لهذا التصور يمكن أن تقاس درجة التحضر في ضوء سيطرة الإنسان على البيئة الطبيعية واستخدامها لرفاهيته بكل ما تتضمنه هذه السيطرة من معاني التعديل أو التغيير أو تمايز استخدام الأرض أو استثمار الموارد البيئية وكل ما من شأنه أن ينعكس على الطابع الفيزيقي للمجتمع الحضري وحجمه وخصائصه ونمط توزيع السكان والنشاطات.[2]

4.2. التصور التنظيمي:

يذهب أصحاب هذا الاتجاه في مفهوم الحضرية والمدينة بصورة خاصة من منطلق أنها الشكل الفريد من النسق الاجتماعي الذي يتضمن تطوير وسائل الاتصال والآليات الاجتماعية والسياسية التي تسمح للمجتمع بالانتقال من الشكل البسيط إلى الشكل المركب والمعقد.[3] فالتحضر بهذا المعنى هو تراكم التطور والتعقيد النظامي بنفس الدرجة وفي نفس الاتجاه الذي سارت فيه التطورات التكنولوجية، وبالتالي فإن كل تطور تكنولوجي يواكبه تطور وانتقال إلى حالة نظامية أكثر تعقيدا.[4] ويشمل هذا النظام الأكثر تعقيدا تطوير الأسواق المحلية والإقليمية والعالمية وانتشار الأشكال المختلفة للتنظيمات الرسمية وغير الرسمية. إلى جانب تطوير عدد من التنظيمات الاجتماعية والتغيرات التي تلحق بناء ووظائف وحدات التنظيم القائمة كالأسرة والمدرسة والمؤسسات الدينية وأنساق المكانة والتدرج الطبقي.

فقد أشار أرنولد روز Arnold Rose إلى مسألة التطور في النظم الاجتماعية والسياسية وكذلك الثقافية حيث يقول "إن ثقافة عالمية قد أثرت في كافة المجتمعات المتطورة (...)ويكمن

---

[1] –عبد الرؤوف الضبع، مرجع سابق، ص25.

[2] –السيدعبد العطي السيد: مرجع سابق. ص108.

[3] – عبد الحميد بوقصاص، مرجع سابق، ص119.

[4] –السد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص108.

مصدر هذه الثقافة المشتركة وجوهرها في نمو التجارة العالمية والصناعة والنتائج المباشرة لهما فيما يتعلق بالتحضر والتخصص والعلمانية وتزايد فرص الحراك الإجتماعي والتعليم الجامعي والتحسن الذي طرأ على المستويات المادية للحياة."[1]

كما عرض تونيز Toennies في نموذجه المجتمع المحلي والمجتمع الكبير مسألة التعقيد ووحداته البنائية التي تميز طبيعة المجتمع الحضري، من خلال التغيير البنائي كأساس لنمو وتطور الحضرية.[2]

5.2.التصور التاريخي:

يُعتبر التصور التاريخي أحد اتجاهات علم الاجتماع الحضري والذي يهتم بتصوير تطور أشكال المجتمعات المحلية الحضرية الأولى، كما يُعنى بدراسة انتقال المناطق الريفية إلى مناطق حضرية وكذا التطور والانتشار الثقافي والحضري.

وأهم من تبنى هذا التصور جراس N.Grass ولوتش Loche وهاريس وأولمان Olman Harris عندما تناولوا الجذور التاريخية للمناطق الحضرية وتتبع تطوراتها وطبيعتها وتنوعها وخصائصها.

ويُعتبر إسهام جوردن تشيلد Child من أهم المحاولات وأشهرها حيث قام بتحديد ملامح (الثورة الحضرة المبكرة) التي من بينها الاستيطان الدائم في صورة تجمعات كثيفة وبداية العمل بالنشاطات غير الزراعية وإقامة المباني الضخمة وتطور الكتابة وبعض المعارف والعلوم.[3]

[1] –إليكس إنجاز، مقدمة في علم الاجتماع، نقلا عن عبد الحميد بوقصاص، مرجع سابق، ص122.

[2] –عبد الحميد بوقصاص، مرجع سابق، ص123.

[3] –ابراهيم الموسى، دراسة المدينة الإسلامية في ضوء علم الاجتماع الحضري،(www.algwafel.com)

كما اهتم لويس ممفورد L.Mumfor بالتطور التاريخي للحياة الحضرية والثقافة الحضرية؛ فقد أوضح في كتابه " ثقافة المدن "سنة 1938 أن مراحل تطورية ارتبطت بنماذج المجتمع الحضري اتسمت بخصائص ثقافية معينة، حيث ميز ممفورد ستة نماذج حضرية هي:[1]

1- **الإيوبوليس** Eopolis: يمثل البدايات الأولى للمجتمع المحلي (فجر المدينة) تميزت باستقرار الحياة الاجتماعية بعد اكتشاف الزراعة واستئناس الحيوان وقيام الصناعة اليدوية والحرفية.

2- **البوليس** polis: المدينة الصغرى وهو مجتمع محلي صغير متطور إلى حد ما تمتاز بوضوح النظام الاجتماعي والإداري وتنوع الأعمال والوظائف.

3- **المتروبوليس** Metropolis: المدينة المسيطرة مجتمع محلي حضري، ذو موقع استراتيجي ومركزي تعرف بالمدينة الأم، يتكاثف فيها عدد السكان ومعدلات أكثر ارتفاعا للتخصص وتقسيم العمل والفردية والتغاير.

4- **الميغالوبوليس** Megalopolis: تتمثل في انبثاق المدن العظمى في القرن التاسع عشر، وهو شكل لمجتمع محلي حضري أكثر ضخامة وأعقد تنظيما يبدو فيه التنظيم الآلي والتخصص وتقسيم العمل وتسوده التنظيمات البيروقراطية والعلاقات اللاشخصية.

5- **التيرانوبوليس** Tyrannopolis: وتمثل أعلى مراحل الهيمنة الاقتصادية للمدينة، وانتشار المشكلات الإدارية والفيزيقية والسلوكية الناجمة عن كبر الحجم.

6- **النيكروبوليس** Nekropolis: يمثل هذا النموذج للمجتمع المحلي الحضري آخر مراحل التطور الحضري، ومع أنه لم يتحقق إلا أنه سيكون قائما حسب ممفورد، وسيرتبط بأفول الحضرية والتفكك.

بعد عرض أهم التصورات التي ارتبطت بمفهوم التحضر، والتي رمت لفهم وتفسير الظاهرة، يتبين تعدد وتباين المضامين والمدلولات المفسرة. إلا أنه يتجلى قصور نظرة كل

[1] -السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص171.

تصور على حدة، وهذا لاعتمادها على جانب واحد من جوانب الظاهرة؛ إذ في هذه التصورات المتنوعة كلها، حاول أصحابها أن يضفوا على ظاهرة التحضر والحضرية خصائص البعد الواحد بدلا من النظر إليها كتنوع متحرك ومتغير يصعب فهمه وتفسيره بالتركيز على جانب واحد وعزل الجوانب الأخرى. وتساهم هذه التصورات مجتمعة كنظرة شاملة ومتكاملة في فهم وتفسير ظاهرة التحضر.

3.الاتجاهات النظرية الحضرية:

إنَّ فهم الظاهرة الحضرية وعملية التحضر يقتضي الاستناد إلى المداخل النظرية التي عنت بدراسة الواقع الحضري، ولا شك أن دراسة المدينة قد شهدت مداخل نظرية متعددة ومتعارضة في بعض الأحيان، ويرجع هذا التعدد والتنوع إلى تباين المنطلقات الفكرية لكل باحث، كما أنه يعني تعدد التصور السوسيولوجي، فضلا عن تعدد المحاولات التي سعت لعرض وتصنيف التوجهات النظرية الحضرية، ولعل أهمها محاولات "مارتندال" و"رايزمان" و"جوبرج" الذين اختلفت محاولاتهم باختلاف الأساس التصنيفي الذي اعتمده كل باحث منهم.

ويُمكن تميز التوجهات النظرية الحضرية وفق ما أشار إليه "مارتندال" حيث ميَّز إسهامات كل من المدرسة الحضرية الأمريكية مقابل المدرسة الحضرية الأوروبية كمدارس متباينة ومتميزة، ثم أعمال الأنثروبولوجي روبرت ردفيلد كمحاولة للتأليف بين أفكار المدرستين وتبيان إسهامات علمائها، فيما نرى بأهميته وشيوعه[1].

1.3_ النظرية الحضرية الأمريكية:

ارتبطت في الأصل بأعمال وإسهامات مدرسة شيكاغو على يد روبرت بارك وتلاميذه والتي بدأت سنة 1915؛ حيث استهدفت محاولاتهم تحديد مجموعة من المبادئ والأنماط التي يتوزع من خلالها الأفراد والجماعات والمنظمات والأنشطة داخل المجتمع الحضري، بالإضافة

[1] – محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص33.

إلى دراسة تأثير حجم المدينة وكثافتها على التنظيم الاجتماعي.[1] وكانت هذه الإسهامات من أهم الدراسات الوظيفية المتميزة التي قدمت للحياة الحضرية التي ازدهرت في فترة القرن العشرين. وقد مرت النظرية الايكولوجية بمرحلتين؛ مرحلة النظرية الايكولوجية المبكرة ومرحلة النظرية المتقدمة.

1.1.3_ النظرية الايكولوجية:

عرفت النظرية الايكولوجية في صورتها المبكرة بأعمال ثلاثة من رواد علم الاجتماع في أمريكا هم روبرت بارك ولويس ويرث وأرنست بيرجي ورودريك كينزي،[2] تلك الأعمال التي وضعت منذ البداية الإطار النظري العام الذي انطلقت منه أهم الدراسات اللاحقة التي كانت لها مكانتها وأهميتها العلمية.

روبرت بارك Robert Ezra Park: يُعتبر مؤسس المدرسة ومن أوائل المهتمين بهذا الاتجاه، فقد صاغ الإطار العام للنظرية. وتعتبر كتاباته من الدعائم الأساسية التي استندت إليها الدراسات الايكولوجية، ذهب بارك في تعريفه للمدينة على أنها "مكان طبيعي لإقامة الإنسان المتحضر،" فهي بذلك ظاهرة طبيعية تنقسم إلى مناطق صناعية وتجارية وسكنية، فهي تمثل وحدة على درجة عالية من التنظيم من حيث المكان انبثقت وفقا لقوانينها الخاصة.[3]

كما عنى بارك بصياغة نظرية ايكولوجية، حاول بعدها توضيح مدى ملاءمتها أو كفاءتها للمعالجة السوسيولوجية للمجتمع الحضري من خلال البحث عن عدد من المبادئ والأسس التي تستنبط دراسة التنظيم الاجتماعي وتجعله أكثر قابلية للتحليل[4].

---

[1] – السيد الحسني، مرجع سابق، ص 124.

[2] – إبراهيم الموسى، مرجع سابق.

[3] –السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص 313.

[4]– نفسه، ص315.

ولقد حقق بارك هذا الهدف من التحليل النظري للتنظيم الاجتماعي إلى مستويين: مستوى حيوي الذي يمثل البناء الأساسي أو التحتي للتنظيم الذي توجهه عملية المنافسة وهو يمثل المجتمع المحلي. أما المستوى الثاني فهو ثقافي يمثل البناء الفوقي، والقانون المسيطر فيه هو التقاليد والنظام الأخلاقي، بالإضافة إلى عمليات الاتساق والتماثل والاتصال كعمليات منظمة، ويمثل هذا المستوى "المجتمع".

_ لويس ويرث wirth: تعتبر نظريته رائدة ومن أهم الدعائم الأساسية التي تستند إليها الدراسات الحضرية. حيث ركز ويرث على إبراز صور الفعل الاجتماعي والتنظيم الاجتماعي الذي يظهر في المدن بوجه عام، واعتبر هذه الصور مرتبط بالحجم المتزايد وكثافة السكان وعدم تجانسهم[1]، فالحضرية تفرض أسلوبها الخاص في حياة الجماعة طبقا للعديد من المعطيات والتطورات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية[2].

كما تؤدي الخصائص الحضرية الحجم، الكثافة واللاتجانس إلى مجموعة من القضايا والتي يمكن أن تصلح لتحليل الحياة الحضرية عموما ومن بينها العوامل التالية[3]:

1. ظهور الروابط السطحية والضعيفة بين السكان.
2. عدم انتشار المعرفة الشخصية بين الأفراد.
3. يؤدي تقسيم العمل إلى ازدياد الفردية وإلى افتقاد المدينة إلى روح العائلة باستمرار.
4. يؤدي حجم المدينة الكبير إلى أن تمتد وتؤثر على أطراف حدودها وتربطها بمركزها.
5. تؤدي كثافة السكان إلى ظهور أنماط التخصص في مختلف النشاطات الاجتماعية.

بالإضافة للنظريات سالفة الذكر كإسهامات بارزة للنظرية الايكولوجية في صورتها الأولى، يعتبر السيد الحسيني أعظم إنجازات علماء الأيكولوجيا الحضرية تمثلت في ثلاث نظريات

---

[1]– محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص10.

[2]– عبد الحميد بوقصاص، مرجع سابق، ص134.

[3] – محمد عباس ابراهيم، التنمية والعشوائيات الحضرية، دار المعرفة، الإسكندرية، 2008، ص42.

أساسية هي: نظرية الغرض الحلقي لبيرجس، ونظرية القطاع لهويت، ونظريات "النويات المتعددة" لهاريس وأولمان التي اهتمت بإبراز النمط الايكولوجي للمدينة[1].

وإزاء الانتقادات التي أطاحت بالمبادئ الأساسية التي استندت إليها النظرية الايكولوجية في صورتها المبكرة، ومع تزايد الاهتمام بمجالات للبحث بتوجيهات نظرية أكثر تحديداً، جاءت إسهامات كثير من الباحثين أمثال دونكان Duncan، شنور Shnore، ومارتن Martin وجينز Gibbs ممن شكلت كتاباتهم الطابع العام للنظرية الايكولوجية المعاصرة،[2] حيث اعتمدوا على منهج تحليل النظم بالتأكيد على تكامل المتغيرات التفسيرية في معالجة مشكلات نجتها من خلال منظور متعدد المتغيرات التفسيرية. وطبقا لهذا الاتجاه تبدو المدينة وكأنها نسق من العلاقات المترابطة بين النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والإدارية، ومعنى ذلك أن المدينة تتألف من مجموعة من الأنساق الفرعية المتبادلة التأثير والتأثر في ضوء معطيات عديدة بعضها حضري متصل بالمدينة والبعض الأخر اجتماعي مرتبط بالمجتمع ككل[3].

ـ أموس هاولي A.HWLEY: قدم نظرية جديدة من خلال كتابة "الايكولوجية الاجتماعية" 1950 حيث أكد فيها ضرورة دراسة المجتمع المحلي كبيئة تمارس فيها نفس العمليات الايكولوجية نشاطاتها في المجال الإنساني[4]، كما اعتبر أن المحدد الأساسي للتنظيم الاجتماعي والسلوك هو التأثير الذي يحدثه المجتمع الحضري، الذي يتميز سير الحجم، وشدة الكثافة، وزيادة التباين، وتعدد الأدوار الاجتماعية وشدة الحراك الاجتماعي، وأن بعثرة السكان في المراكز الحضرية، إنما هو رد فعلي مباشر للسهولة المتزايدة في الحركة[5].

---

[1] – السيد حسيني، المدينة، مرجع سابق، ص 139.

[2] – السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص 323.

[3] – القطب وأبو عياش، الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية، نقلا عن الحسيني، مرجع سابق، ص 141.

[4] – السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص 321.

[5] – السيد الحسني، مرجع سابق، ص126 .

وقد أكد هاولي مسألة عدم الفصل بين الظواهر الحيوية والثقافية وان النظرية الايكولوجية يجب أن تغطي كل سلسلة الظواهر الاجتماعية.

_ دونكان وشنور DUNCAN SONOR المركب الايكولوجي Complexe Ecological:

تهدف النظرية الايكولوجية عند دونكان وشنور إلى تحليل التنظيم الاجتماعي كفكرة محورية؛ حيث استخدموا ما أسموه "بالمركب الايكولوجي" باستخدام التحليل العاملي الذي يستند إلى الاعتماد على عدة متغيرات في التحليل، حيث تضمن "المركب" أربعة متغيرات أساسية هي البيئة والتكنولوجيا، والسكان والتنظيم في تفسير عملية التحضر عبر التاريخ وتحديد عوامله وعملياته المختلفة[1]. وبتعدد هذه المتغيرات يتسع نطاق هذا المركب يستوجب ما هو أكبر من المجال الحضري.

هذه المتغيرات التي تعمل كأنساق فرعية في علاقات مترابطة ومتبادلة التأثير في ضوء معطيات بعضها حضري والبعض الأخر اجتماعي مرتبط بالمجتمع ككل[2].

لقد مكن "المركب الايكولوجي" من تنظيم البيانات والإحصائيات المتراكمة عن الحياة الحضرية، كما أنَّه سهل استخدام القياس في البحوث الاجتماعية واعتمد على الأسلوب الاستقرائي في البحث.

ورغم الانتقادات التي وجهت للنظرية الإيكولوجية، إلاَّ أنَّه قد كان للمرحلة الإيكولوجية في تاريخ علم الاجتماع الحضري وزنها وأهميتها فيما خلفته من كم هائل من البيانات والمعطيات الإمبريقية التي قدمتها عن المدينة، كما أنَّها أدت إلى تطوير هذا الفرع من علم الاجتماع.

---

[1] – السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص11.

[2] – السيد الحسيني، مرجع سابق، ص 141.

2.1.3_ الاتجاه القيمي والثقافي:

يسعى هذا الاتجاه الى تفسير التنظيمات الحضرية في ضوء القيم الاجتماعية والثقافية حيث يستند إلى التوجهات القيمية كمتغير أساسي، تشكل هذا الاتجاه من اسهامات كل من ماكس فيبر الذي يعتبر رائداً له، بالإضافة لإسهامات كل من ديكنسون وفيري[1]، يعتبر متغير الثقافة الاجتماعية متغير محوري عند دراسة أنماط استخدام الأرض والبنيات الحضرية الاجتماعية.

فالثقافة ظاهرة عمومية تشمل كل المجتمعات، وتطغى في مجتمع محدد حيث يمارس أفراده نمطاً ثقافياً محدداً ويتميزون بسمات ثقافية خاصة، بل وقيم وعادات مشتركة، تسهم في تفسير الإطار العام لشخصية الفرد، كما تكون الإنجاز المميز للجماعات الانسانية، ويمكن النظر للأنساق الثقافية على أنَّها نتاجاً للفعل، ووفق هذا المنظور يمكن للمقاربة الثقافية أن تقدم للباحث أداة تحليلية للظاهرة الاجتماعية والكشف عن ابعادها[2].

1-ماكس فيبر: يعتبر أن قيم الانسان الاجتماعية والثقافية متغيراً مستقلاً يُمكن من فهم وتفسير البناء الاجتماعي للمدينة باعتباره متغيرا تابعاً، بالإضافة إلى دراسته وربطه للقيم الدينية بالمشروعات الاقتصادية.

2-والتر فيري walter firey:

انتقد النظريات التي ركزت في عموميتها على العامل الاقتصادي وأقصت العوامل الثقافية والسيكولوجية، فمن خلال تركيزه على أهمية القيم الثقافية في تناوله للمدينة والحضرية والتي حاول في ضوئها تفسير كل مظاهر الحياة الحضرية والتنظيمات الايكولوجية والاجتماعية داخل المدينة، حيث توصلت نتائج دراسته لمدينة بوسطن " أن مكان إقامة الناس ونظمهم

---

[1]- سعيد ناصف، علم الاجتماع الحضري: المفاهيم والقضايا والمشكلات، دار الكتاب، 2006، ص ص، 67.68

[2]- عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع، دار الطليعة، بيروت، 2007، ص109.

يتحددان من خلال القيم العاطفية بنفس القدر الذي يتحددان بالقيم الاقتصادية أيضاً"[1]، وبالتالي يمكن تفسير اقامة الناس واختياراتهم لأماكن معينة وفق عواطفهم.

فالقيم الثقافية هي الموضوع الأساسي الذي تفسر في ضوئه كل مظاهر الحياة في المدينة وتنظيماتها الإيكولوجية والإجتماعية، وكذا فهم أبعاد القيم الثقافية في تفسير الواقع الحضري، وعليه أكدَّ فيري على هذا العمل بصفة أساسية في تفسير التنظيمات الحضرية[2].

3- ديكينسون Dickinson:

أكدَّ على دور القيم الدينية في تشكيل البناء الإيكولوجي للمدينة في دراسته للمدينة الاوروبية الغربية، حيث أكدت دراسته على الأثر التي تمارسه القيم الدينية بصفة خاصة في تحديد ملامح البناء الإيكولوجي والاجتماعي للمدينة[3].

4- فون جرينبايم Grunebaum:

توصل من خلال دراسته للمدن الإسلامية إلى التأكيد على أهمية القيم الدينية وتأثيرها كمنظومة أخلاقية ومجموعة معتقدات تلقي بآثارها على مختلف الانشطة اليومية والتنظيمات بتلك المدن.

كما أنَّ للقيم فاعليتها وتأثيرها أيضاً بالنسبة لظهور المراكز الحضرية ونموها، وذلك لأن نمو المدن يخضع لفاعلية الأنظمة الاجتماعية والسياسية التي تنتهجها، وهذا بدوره يخضع للسياق العام للقيم السائدة في المجتمع.[4]

---

[1]- سعيد أحمد هيكل، مرجع سابق، ص86.

[2]- سعيد ناصف، مرجع سابق، ص68.

[3]- نفسه، ص 68.

[4]- سعيد أحمد هيكل، مرجع سابق، ص ص، 92،93.

5- تالكوت بارسونز:

وضع تالكوت إطار فكري متعلق بتأثير القيم على البناء الاجتماعي للمجتمع، حيث حدد متغيرات النمط والتي ترتبط بالتوجيهات القيمية بصورة مباشرة، فتلك الانماط الخمس تنطوي على قيم.[1]

ومن خلال عرض أهم إسهامات الاتجاه الثقافي القيمي، نرى أنَّه الأنسب كإتجاه حضري لتفسير الظاهر الحضرية في علاقتها مع الظاهرة الصوفية، كونه يراعي خصوصيات المدن الإسلامية التاريخية والثقافية، وهذا راجع لطبيعة المدن التي تم دراستها من طرف علماء هذا الاتجاه، وبالتالي يمكن تعميم نتائج دراساتهم على كثير من المدن التي تحمل نفس الخصوصيات.

2.3_ النظرية الحضرية الأوربية:

تبلورت النظرية الأوربية في سياق فكري ومجتمعي مختلف تماما عن نظيره فيما يخص النظرية الأمريكية؛ حيث اهتم الأوربيون بجمع المادة التاريخية عن المدن القديمة من منطلق أن المجتمع الإنساني نتاج تاريخي تطوري وأن تفسير الأحداث الاجتماعية يكون باكتشاف أصولها الضاربة في أحداث الماضي، لذلك قدمت النظرية الأوربية تفسيراً نظامياً عن المدينة، بمعنى أنها صورت الخصائص المميزة لأي وحدة من وحدات الحياة الاجتماعية بخاصة المدينة تتحدد عن طريقة الأولوية التاريخية لنظمها، وهذا ما أدى إلى تفرغ و تنوع النظرية في اتجاهات متعددة فتباينت من طلقاتها المتخذة للأساس الذي نظر إليه كنظام محدد لحياة المدينة[2].

[1]- سعيد أحمد هيكل، مرجع سابق، ص94.

[2] - السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص299 .

1. **فوستيل دي كولانج** F.D.Coulanges[1]: اتخذ من النظام الديني محددا لتفسير نشأة ونمو المدن القديمة، فقد أوضح في كتابه "المدينة العتيقة" سنة 1956 أن النظام الديني هو أساس عملية التحضر، حيث انطلق من تناول الأسرة التي اعتبرها النواة الأساسية للمجتمع السابق على التحضر حيث أنَّها حققت تكاملها من خلال الرموز الدينية، هذا التكامل الذي أدى بالتدريج إلى إتحاد الأسر الذي بدوره أدى إلى نشوء البطن أو العشيرة ثم القبيلة وأخيرا المدينة.

2.**سير مندي مين**: S.H.Main في كتابه "القانون القديم" سنة 1894، ارتكزت وجهة نظره في تحليل الظواهر الحضرية على البناء والتطور القانوني الذي قام على أساس العقد والإقليم الذي حل محل المكانة والعلاقات القرابية والأسرية التي كانت تشكل وتنظم المجتمع القديم من خلال سيطرة الأسرة الأبوية، حيث كانت القرابة هي المجال الواسع للممارسة والوظائف السياسية. فقد تشكل المجتمع القديم وانتظم من خلال سيطرة الأسرة الأبوية، الذي سادة بناء قانوني قائم على أساس المكانة والعلاقات القرابية والأسرية وكان مجالا واسع للممارسة والوظائف السياسية ومع تزايد الأشكال والصور الاجتماعية تعقيداً، تحرر الفرد من سيطرة هذه العلاقات لتصبح عملية إحلال العقد محل المكانة أهم ما يميز حركة وتطور المجتمعات المتقدمة[2].

وبالإضافة لإسهامات كولانج وماركس وهنري مين كرواد للنظرية الأوربية ـ كما يرى مارتندال ـ هناك إسهامات للمدرسة الألمانية، وقد كانت النظرية النفسية الاجتماعية* هي

---

[1]– F.D.Coulanges : (89 – 1830)، مؤرخ فرنسي. ألف " المدينة العتيقة " 1874، وهو دراسة رائعة في تأثير الدين في تطور المدن الإغريقية وروما. ولكن أعظم كتبه:" تاريخ النظم السياسية لفرنسا القديمة " (6 مجلدات 1882 – 1892)، وقد وجه الفكر إلى تفسيرات جديدة لتاريخ أوائل العصور الوسطى.

[2]– السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص300.

* تشير هذه النظرية في علم الاجتماع الحضري إلى أعمال رواد مدرسية فكرية متميزة ظلت تسيطر على علم الاجتماع الألماني لفترة طويلة.

التوجيه النظري الذي سيطر على المدرسة، وقد جاءت أهم إسهامات روادها الأوائل على النحو التالي:[1]

1. **ماكس فيبر** Max Weber: انتهج فيبر في معالجته للمدينة من خلال كتابه "المدينة" سنة 1905 منهجا يختلف تماماً عن ذلك الذي تبنته الدراسات السابقة والمعاصرة؛ فقد اتجه للبحث عن الظروف التي تجعل دور المدينة ايجابياً وابتكارياً في الحياة العامة للإنسان.[2] كما يعتقد فيبر أنَّ التطور التاريخي لا يحدث في تتابع منتظم ومباشر ولا بصورة جامدة، بل أن قوى النمو الصناعي أدت في تصوره إلى وضع أقل تحضرا عما كان عليه الحال في مدن العصور الوسطى المتأخرة.[3] كما حاول فيبر تبرير ظهور المدينة في ضوء السياق الاجتماعي، أي في ضوء الأشكال المختلفة للتنظيم الاجتماعي، حيث تطرق إلى عدد من المفاهيم الأساسية التي لها صلة "بالمجتمع المحلي" كالأفعال الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية والنظام الاجتماعي ليضع تصورا للمدينة يرتبط بـ"الكوزموبوليتانية" أو العالمية الذي يشير إلى ظهور أساليب متنوعة للحياة جنبا إلى جنب مع وجود أفراد ذوي اتجاهات مختلفة، أي ظهور أعلى درجات الفردية.

وقد وضع فيبر "النموذج المثالي لظروف المدينة" محاولا من خلاله تقديم وصف عقلاني ورشيد لظاهرة اجتماعية مثل المدينة، يقوم أساساً على المنظور التاريخي والذي يسهم في إمكانية عقد مقارنات بين مدن مختلفة، وهذا ما استعان به فيبر في دراسة بعض المدن القديمة[4].

2-**جورج زيمل:** رغم اتفاق زيمل مع فيبر في بعض الآراء، إلا أنه اختلف معه في تصوره لنشأة المدن وسبب وجودها، كما أنه يرى إمكانية وجود حياة حضرية معقدة وجديدة في تلك

---

[1]- محمد ياسر الخواجة، مرجع سابق، ص49.

[2] - محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص35.

[3] - السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص331.

[4]- محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص36.

الأشكال الحضرية للعصر الحديث.[1] ويذهب زيمل إلى أن التحليل السوسيولوجي للمدينة يجب أن يتجه إلى دراسة الصور النفسية للحياة الإنسانية في بيئة حضرية كالتوترات والعواطف والذكاء، كما عنى بدراسة التنظيم الاجتماعي الحضري الذي يتميز بأعلى درجات التعقيد، وباختصار تصبح عقلية Mentality الحضري هي الموضوع الأساسي لهذا التحليل، هذه "العقلية" الذي يعمل التنظيم الاجتماعي للمدينة دائماً على تدعيمها، حيث يربط مابين اقتصاد المال وسيطرة العقل أو غلبته، فكلاهما يتضمن اتجاها حقيقيا للتعامل مع الأشخاص والأشياء[2]. ثم انتهى زيمل إلى صورة للحياة الحضرية التي تتسم باللاشخصية والاضطراب والبيروقراطية وانعدام المواجهة المباشرة والعمليات العقلية لاقتصاد السوق هي نتاج ظروف حضرية ذات طبيعة نفسية–اجتماعية.

3–**أوزفالد شبنجلر** O.Spengler: ذهب في مؤلفه الشهير "تدهور الغرب" إلى أن المدينة لها ثقافتها الخاصة، وأن تاريخ العالم ليس إلاَّ تاريخ هذا الإنسان المتمدن وروح المدينة هي في الحقيقة روح جمعوية وجماهيرية لنوع إنساني جديد.[3] ويعتقد شينجلر أن مراحل نمو المدينة تعكس مراحل الحياة الحضارية في الثقافات الغربية، مبتعدا بذلك عن أولئك الذين اهتموا بتتبع الخصائص المتميزة للمدينة كبناء اجتماعي. كما اعتبر أن مراحل نمو المدينة تتخذ شكل الدورة لأن نشأة المدن الثقافية وتدهورها يتخذ نمطا واضحا يكشف عن مراحل النمو والتدهور في المجتمع.[4]

إن فكرة شبنجلر أن كل ثقافة غربية أو غير غربية لها روح شعبية تظهر في المراحل الأولى من تطورها، وهذه الروح تمنح الثقافة هويتها وحينما تنمو المدن تدريجيا فإن ذلك يؤدي

---

[1]– محمد ياسر الخواجة ، مرجع سابق، ص55.

[2]– السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص 332.

[3] – محمد ياسر الخواجة، مرجع سابق، ص50.

[4] – السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص 335.

إلى تغيير هذا الطابع الثقافي نتيجة تشجيع الفردية والانفصالية بين أعضاء المدينة، وأن التوازن بين القرية والمدينة هو مفتاح صحة كل المجتمعات النامية[1].

كان التأكيد على العقلية الحضرية محل اتفاق في تصورات كل من فيبر وزيمل وشينجلر رغم اختلافهم في تفسير هذه العقلية، كما كشف التأكيد عن تصورهم النفسي الاجتماعي في تحليل ظروف الحياة في المدينة الحديثة.

ريد فيلد والمتصل الفولك–حضري

يعتبر كتاب ريد فيلد "ثقافة الفولك عند اليوكاتان" من أهم أعماله التي نشر فيها نتائج دراسته الميدانية، وعرض فيها إطاره الذي حدد فكرة الفولك حضري من خلال دراسة أربعة مجتمعات محلية، افترض أن كلا منهما يمثل نقطة متميزة على طول متصل مدرج يبدأ بمجتمع الفولك وينتهي بالمجتمع الحضري.[2]

يقرر ويد فيلد بوضوح أن ثمة نوعان من المجتمعات وأن الفروق بينهما يجب تحديدها على نحو ما؛ إذ نجده يطلق على المجتمع الأول "المجتمع الشعبي" ويطلق على الثاني "المجتمع الحضري"، وتبرز المتغيرات الرئيسية عند ريد فيلد بأن هناك تغيرا من المجتمع الشعبي إلى المجتمع الحضري وتغلب عليه صفة فردية. وحاول ريد فيلد وضع "متصل" أو مقياس يمثل أحد طرفيه النمط المثالي بكافة الخصائص الأساسية للمجتمع الشعبي، ويمثل الطرف الآخر للمتصل–الطرف النقيض–خصائص المجتمع الحضري، كما يلاحظ أن هناك تدرجا من أحد الأقطاب إلى القطب الآخر المتصل.[3]

[1] – محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص 38.

[2] –السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص 88.

[3]– صبحي محمد قنوص، دراسات حضرية، الدار الدولية للنشر، القاهرة،1994، ص 33.

وقد قدم ريد فيلد تحليلا للمتغيرات التي يمر بها المجتمع حال انتقاله من نموذج الفولك إلى النموذج الحضري كهدف أساسي لدراسته حيث وجد هذه المتغيرات أو الخصائص العشر في ثلاث مقومات أساسية للتغير أو التحول الحضري وهي:[1]

1- تزيد الحضرية من التفكك الثقافي للمجتمع حيث يتخذ هذا التفكك أربعة مظاهر:

أ- أن تفقد الثقافة وحدتها التقليدية.

ب- اتساع نطاق البدائل الثقافية أمام الفرد.

ج- فقدان التكامل والارتباط المتبادل بين مقومات الثقافة.

د- الصراع الواضح أو عدم الاتساق بين المستويات الثقافية.

2- تزيد الحضرية من اتجاه المجتمع نحو العلمانية والدنيوية، التحرر من الارتباط بإرادة المجتمع التي تجسدها المعتقدات الدينية المقدسة والتقليدية.

3- تزيد الحضرية من انتشار الفردية وزيادة سيطرتها على موجهات السلوك الإنساني، اختفاء الوظائف الجمعية وإحلالها بنشاطات فردية بحتة تهدف إلى تحقيق مصالح الفرد في المقام الأول.

4- التحليل البنائي الوظيفي للظواهر الحضرية:

تعتبر المقاربة البنائية الوظيفية من الأساسيات النظرية لعلم الاجتماع الحضري بين العلماء الأمريكيين، وأصبح ذا قيمة أساسية بالنسبة لعلم الاجتماع الحضري وذلك ما أكد عليه " جدون سجوبرج"، باعتبار أن الجانب الوظيفي مكمل للجانب البنائي في فهم الظاهرة الحضرية والمدينة.

[1] - السيد عبد العاطي ، مرجع سابق، ص ص93-94.

حيث يشير التحليل البنائي لتناول الظواهر الحضرية من حيث العناصر المكونة لها كبناء لها، بمختلف جوانبها اجتماعية أو ثقافية أو شخصية، بالإضافة لتبيان خصائص تلك العناصر وميزاتها، وطبيعة العلاقات التي تربط هذه المكونات. أما التحليل الوظيفي فيمكن من الكشف عن وظائف تلك المكونات البنائية من حيث تفاعلها مع بعضها، والتي تربطها بالبيئة الحضرية من ناحية، والعلاقة الوظيفية التي تربط المجتمعات المحلية الحضرية بالمجتمع العام من ناحية أخرى[1].

فالجانب البنائي يتضمن عرض وتفسير مكونات البناء الاجتماعي الذي يتألف من نظم (إجتماعية، سياسية، إقتصادية..) وكل نظام يتكون من أنساق، والتي بدورها تتألف من انماط تشكل السلوك الاجتماعي. والذي يربط البناء كله هو "النظام". أما الجانب الوظيفي فيرتكز على دراسة الوظائف الاجتماعية للظواهر والوقائع وما لها من تبعيات وآثار على كل نسق وفي علاقاتها أيضاً مع الأنساق الأخرى، ووفق هذه المقاربة يتم تفسير الظواهر بالبحث عن الوظائف التي تؤديها على حسب ما يذهب إليه إميل دوركايم[2].

يعتبر المدخل الوظيفي أهم مدخل تفسيري يرتكز على العلية أو السببية، بربطها بوظيفة المدن أو علة وجودها. وإلى جانب النزعة الوظيفية في التفسير هناك الموقف الاحصائي الذي يسعى لتفسير للظاهرة الحضرية من زاوية كمية ونوعية. كما يعتبر "التحليل التاريخي" ذا أهمية لتتبع ظهور المدن وإبراز مختلف الأبعاد التي شملتها عملية نشأة المدن عبر سيرورتيها التاريخية[3].

مدرسة شيكاغو:

تتميز المنهجية المعتمدة من طرف رواد مدرسة شيكاغو وتلامذتهم، بالانطلاق من وجهة نظر الفاعل الاجتماعي، ومن دراسة أفعال وممارسات الأفراد، ودراسة علاقاتهم بالواقع المحيط

---

[1]– سعيد احمد هيكل ، مرجع سابق، ص122.

[2]– عبد الغني عماد ، مرجع سابق، ص 104.

[3] قباري محمد إسماعيل، علم الاجتماع الحضري ومشكلات التجهيز والتغيير والتنمية، دار المعارف، الإسكندرية، ص284

بهم، ومحاولة فهم المعنى أو المعاني التي يعطونها لهذا الواقع. ومن أجل ترجمة هذا التصور على أرض الواقع، تمت الاستعانة بتقنيات خاصة، تندرج ضمن ما سيجمعه الدارسون تحت تسمية "المنهج السوسيولوجي الكيفي" التي ستصبح متداولة فيما بعد. ويتضمن هذا المنهج تقنيات: "استغلال الوثائق الشخصية" و"السير الذاتية" و"المراسلات الخاصة" و"مذكرات وحكايا الحياة"، وهناك من جهة أخرى، تقنيات "راسة الحالة" التي تعتمد "الملاحظة المشاركة" و"الملاحظة المباشرة" و"المقابلة" و"الشهادة."[1]

يقتضي تحليل الواقع الإجتماعي حسب رواد مدرسة شيكاغو معرفة الطريقة التي يرى بها الأفراد الأوضاع التي يعيشونها في وقت محدد وكيفية تعريفها. فالتحليل السوسيولوجي حسب رأيهم يجب أن يأخذ بعين الإعتبار القيم والقواعد والظواهر الإجتماعية الخارجة عن الأفراد، ومن جهة أخرى المواقف الشخصية التي تشكل النسخة الذاتية للقيم. فالقيم الاجتماعية والمواقف الفردية هي التي تواجه الفعل عند كل فرد عبر مجموعة من الرغبات التي لا تلبيها سوى البيئة الإجتماعية.

1- عبد الرحمن المالكي، مرجع سابق، ص ص، 87-88.

المحاضرة الثالثة: الرهانات التي تواجهها المجتمعات المعاصرة

1. المشكلات الحضرية
2. الرهانات الحضرية

المحاضرة الثالثة: الرهانات التي تواجهها المجتمعات المعاصرة

تمهيد:

إن جملة المشكلات التي افرزتها عملية التحضر نتيجة التضخم الحضري، كسلامة الموارد المائيّة، التطهير، العنف في المناطق الحضرية، اللامساواة، التمييز، التلوّث، البطالة وغيرها، حيث إن التحديات الناجمة عن التوسع الحضري في العالم هي تحدّيات خارجة عن المألوف. وتحتل المدن موقع الصدارة في مواجهتها، بما أنها تضمّ نصف سكان العالم، وهذه النسبة مدعوة للارتفاع إلي الثلثين في أفق سنة 2050.

1. المشكلات الحضرية:

تواجه المدينة في معظم أنحاء العالم مشكلات وأزمات حادة مثل مشكلة الفقر والبطالة، مشكلة المناطق العشوائية والاسكان والتلوث، وأزمة المواصلات، وتعد هذه المشكلات وغيرها نتيجة للتغير التكنولوجي وما ارتبط بذلك من نمو المدن وتضخمها في العصر الحديث، ويمكن تلخيص أهم المشكلات المزمنة التي تعاني منها المدينة في الآونة الأخيرة على النحو التالي:[1]

1. مشكلة الفقر الحضري.
2. مشكلة البطالة في المجتمع الحضري.
3. مشكلة الاسكان الحضري.
4. مشكلة التلوث الحضري.
5. مشكلة المناطق المتخلفة بالمدينة.

حيث إن كثيرا من المشكلات الحضرية التي تواجه مدن المعاصرة عامة، ومدن الدول النامية خاصة، تبدأ من موقف معين يطلق عليه "التضخم الحضري" الذي يشير إلى "ضخامة عدد سكان المدن، بالنظر إلى إمكاناتها وقدرتها الحضرية".

[1] محمد ياسر خواجة، محمد ياسر خواجة، علم الاجتماع الحضري، دار الاسراء، القاهرة، 2008، ص101.

2. الرهانات الحضرية:

إن المدن المعاصرة على إختلاف أحجامه وأنماطها تكافح من أجل البقاء والاستمرار في إثراء الحياة الانسانية برغم ماتواجهه من ضغوط ومشكلات، فاالبحث الحقيق يجب ان يتجه إلى خلق حياة حضرية أكثر إشباعا وسعادة، وعلى الرغم من ان هناك مشكلات مشتركة عديدة تواجه المدن المعاصرة كالتلوث والازدحام، وتخلف المرافق الحضرية، ومشكلة السكن، ، ورغم ان التكنولوجيا قد ساعدت على حل بعض المشكلات الحضرية إلا انها ليست قادرة وحدها حل هذه المشكلات.[1]

وقد ركز Washburn وآخرون على مفهوم المدينة الذكية من خلال التأكيد الصريح على استخدام تكنولوجيا الحوسبة الذكية. وقد اعتبروا أن الأزمات الحضرية الحالية تحتم التمهيد للمدن الذكية، وتشمل تدهور أوضاع المدن من أزمة ندرة الموارد، وعدم كفاية وضعف البنية ألساسية، ونقص الطاقة، وعدم استقرار الأسعار، والقضايا البيئية العالمية، والمخاوف على صحة الإنسان، وتمثل هذ التعريف فى التعريف التالى: "استخدام تكنولوجيات الحوسبة الذكية لجعل عناصر البنية الأساسية الحيوية وخدمات المدينة (والتي تشمل إدارة المدينة، والتعليم، والرعاية الصحية، والسالمة العامة، والعقارات، والنقل، والمرافق) أكثر ذكاء، وترابطا ووكفاءة.[2]

وبالتالي نشأت المدن الذكية المستدامة كأحد الإستجابات الممكنة لتحديات المرونة والاستدامة الناجمة عن التوسع الحضري السريع غير المسبوق، وقد صممت لتوفير سلسلة من الحلول الذكية، القائمة أو غير القائمة على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، الهادفة إلى تقليل الآثار الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للتحديات الحضرية، كالفقر واللامساواة بين الجنسين والرعاية الصحية وتغير المناخ والمياه والطاقة والخدمات الحكومية، بإتباع نهج محوره

---

[1] السيد الحسيني، مرجع سابق، ص 326.

[2] طاهر عبد السالم حامد وآخرون، صياغة المفهوم العمراني للمدن الذكية، Journal of Urban Research, Vol. 21 .Jun2016. P57.

المواطن تقدم بموجبه الحلول جميعها، بما في ذلك الجماعات المعرضة للمواطنين جميعا للمخاطر كالنساء وذوي الاعاقة والمسنين والفقراء.[1]

بالإضافة لرهانات المدن الذكية لتجاوز المشكلات الحضرية، يرى السيد الحسيني وأيضاً محمد ياسر الخواجة على أن التكنولوجيا لوحدها لا يمكن أن تقدم حلولا نهائية للمشكلات الحضرية، حيث يجب أيضاً إعطاء أهمية للعوم الانسانية خاصة علم الاجتماع، حيث أثبتت التجارب التي وضعنا فيها التقدم التكنولوجي أن كثير من رجال الصناعة وجدوا أنفسهم مضطرين إلى الاعتماد على العلوم الإنسانية، وأصبحوا يرون أن المشكلات التي تؤثر في الانتاج وتؤدي إلى سوء الإدارة وفوضى التوزيع و المصادمات الناتجة عن العلاقات غير المتكافئة بين العمل ورأس المال، وما تعانيه الطبقات العاملة وأسرها من مظاهر البؤس والفاقة والحرمان ومدى انعكاس هذه الحالة على المنشئات الصناعية ، لا يمكن القضاء عليها إلا إذا وجهنا اهتمامنا إلى العنصر الانساني.[2]

[1] مجموعة مؤلفين، المدن الذكية المستدامة والحلول الرقمية الذكية لتعزيز المرونة الحضرية في المنطقة العربية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا،الأسكوا، الأمم المتحدة،2020، ص03.

[2] محمد ياسر خواجة، مرجع سابق، ص99.

المحاضرة الرابعة: أشكال التجمعات الحضرية المعاصرة

1.أشكال التحضـــر

2. خصائص المجتمع الحضري

3. أشكال المدن المعاصرة

المحاضرة الرابعة: أشكال التجمعات الحضرية المعاصرة

تمهيد:

يعالج التطور التاريخي من خلال القفزات أو انفجارات أو ثورات حضرية، باعتبار أن الظاهرة الحضرية نتاج أو محصلة ذلك التفاعل الإيكولوجي (التاريخي) الصادر عن فعل الانسان وأثره العمراني في البيئة الطبيعية وتغييره الدائم لأنماط حياته، حيث أن لكل مدينة تاريخها. الذي تأثر على حقب زمنية متعاقبة بطبيعة الأنشطة والوظائف التي ارتبطت بالمدن. وعموما يمكن التمييز تاريخياً بين مدن ما قبل الصناعة وأخرى صناعية، يكمن الفرق بينها في عاملين أساسين، حيث تتميز الأولى بالغزو في مقابل الإنجاز، وتؤكد الخصوصية أكثر ما تؤكد العمومية[1].

1.أشكال التحضـــر:

إنَّ التفاوت بين المجتمعات لا يقف عند وصـــف مجتمع ما بالحضـــري وآخر بالريفي وثالث بالبدوي، وإنما تمتد لتشـمل الاختلافات والتباينات القائمة داخل كل نمط مجتمعي على حدة. فإذا أُعتبرت الحضـــرية أســـلوبا معيشـــيا له خصـــائص عامة معينة، فإنه عند فحص التطبيقات الواقعية لهذا الأســـلوب نلحظ تفاوتات لا حصـــر لها حتى داخل ربوع المجتمع الواحد.[2]

إنَّ الدراسـات الحديثة أوضـحت بأنَّ هناك أنماط متعددة ومتنوعة ينبغي دراسـة التحضـر في ضـــوئها، على عكس الاعتقاد الخاطئ الذي اعتبر أن التحضـــر يتجســـد في نمط واحد شائع في كل المجتمعات طالما توافرت شروطه وأتيحت مقوماته. كما أن فكرة الخصوصية مؤكدة لأهمية دراســة عملية التحضــر من خلال مســألة النمط حيث أنه متميز بخصــائص ذاتية تجعله مختلفا عن غيره ومن ثم جديرا بدراسة متكاملة.

---

[1] محمد ياسر خواجة، مرجع سابق، ص84.

[2] محمود الكردي، التحضر دراسة اجتماعية، دار المعارف، القاهرة.1986، ص 10.

وبالتالي هناك أنماط متعددة الأشـكال لظاهرة التحضـر، لكل منها مقومات ودعائم توجه عملية التحضر وجهة معينة. وهذا عرض لبعض أنماط التحضر فيما يعتقد بأهميته وشيوعه:

1.1.التحضر التقليدي:

ولعله أبرز الأنماط يطلق عليه في كثير من الكتابات "التحضـــر التقليدي" والذي يتمثل في "الأسلوب المعيشـي القائم في نطاق جغرافي محدود بمركز حضـري (مدينة)، ويتسم بتركيب سـكاني يتشـكل من الحضـريين والمهاجرين (وبخاصـة من الريف)، ويسـود فيه النشـاط الاقتصـادي غير الزراعي، وتشـيع فيه العلاقات الاجتماعية الثانوية، وتتعايش في ظله القيم الثقافية التقليدية والمستحدثة معا."[1]

يتسم هذا النمط بخصـائص تقليدية سواء ارتبطت بالنطاق الجغرافي والتركيب السكاني، أو اتصلت بالنشاط الاقتصادي أو تعلقت بالبناء الاجتماعي والإطار الثقافي.

2.1.التحضر الصناعي:

يركز كثير من العلماء على إبراز العلاقة الوثيقة القائمة بين عمليتي التحضر والتصنيع، حيث ذهب بعضـهم في تأكيد نشـوء المجتمع الحضـري بوجود النشـاط الصـناعي، وأن الصناعة تعتبر من بين أهم العناصر الفاعلة والمؤثرة في تقدم المجتمعات وتحولها.

ويقصد بالتحضر الصناعي "العملية التي تحدث بالمجتمع نتيجة ظهور النشاط الصناعي وسيادته بالنمط الحضـري، وتسـتند إلى مقومات رئيسـية أهمها: ملائمة البيئة الطبيعية ووفرة الموارد الاقتصـــادية واتســـاق البنيان الاجتماعي والإطار الثقافي القائمين. وينجم عن هذه العملية تأثيرات عديدة أبرزها: تحقيق الاستغلال الأمثل للموارد الطبيعية والاقتصادية، وتحول أنسـاق البناء الاجتماعي من مضـمونها التقليدي إلى إطارها المحدث بما يتضـمن ذلك من بروز علاقات اجتماعية جديدة."[2]

---

[1] – محمود الكردي، مرجع سابق، ص 29.

[2] – محمود الكردي، مرجع سابق، ص62.

3.1.التحضر السريع:

ويعني تلك "الحالة التي يمر بها النمط الحضري لبعض المجتمعات وتتسم بتركيز سكاني شديد، وتحول سريع من النشاط الزراعي إلى الأنشطة الصناعية أو التجارية أو الخدمية (دون المرور في الغالب بالمرحلة الاقتصادية التقليدية)، وتغير مادي سريع وملموس دون أن يلاحقه تغير معنوي يمس القيم الاجتماعية والثقافية السائدة بنفس الدرجة من السرعة."[1]

4.1.التحضر التابع:

ويقصد به "حالة تمر بها معظم الأنماط الحضرية ببلدان العالم الثالث وتتشكل بصفة رئيسية من التأثيرات الخارجية الوافدة من المجتمعات الأخرى، والتأثيرات الداخلية(المحلية) التي تنمو في ظل البناءات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالمجتمع التابع والتي تؤثر في تحديد حركة هذا المجتمع."[2] مما يجعل هذه المجتمعات في حالة تبعية مستمرة للدول التي سبقتها في التحضر.

2. خصائص المجتمع الحضري:

إنَّ كثيراً من الأفكار التي استوعبها تراث علم الاجتماع الحضري، والتي حاولت أن تلخص خصائص المجتمع الحضري مثل كتابات زيمل وسروكين وزيمرمان وويرث، تصدق في جانب كبير منها كمحاولة لتحديد خصائص الحضرية، فقد أجمعت هذه المحاولات على التأكيد على الخصائص التالية:[3]

1. تطوير نسق أكثر تعقيدا لتقسيم العمل يعتمد على بناء مهني يتسم بالتباين، ومعنى ذلك أن المدينة تحدد الأعمال التي يمكن أن يقوم بها الأفراد على اختلاف استعداداتهم تحديدا دقيقا

---

[1] – محمود الكردي، ص94.

[2] – نفس المرجع، ص130.

[3] – السيد عبد العاطي السيد، مرجع سابق، ص 114.

إلى حد ما، ولهذا يكون التقسيم المهني في المدينة أمرا شديد الصلة بالتقسيم الطبقي الذي يقوم على أساس من المركزين الاجتماعي والاقتصادي.[1]

2. ارتفاع معدلات الحراك الاجتماعي والفيزيقي (المكاني)، ويتمثل هذا الحراك في أشكال ثلاثة:[2]

أ- الحراك الأفقي داخل الطبقة الواحدة من جماعة إلى أخرى.

ب- الحراك الرأسي من طبقة اجتماعية إلى أخرى.

ج ـ الحراك المكاني من وضع لآخر.

3. الاعتماد الوظيفي والتساند المتبادل بين الأفراد حيث تتجلى الروابط أو الجماعات الطوعية الاختيارية سواء على مستوى المهنة أو الهواية، فساكن الحضر يجد دائما آخرين لهم نفس المصلحة تتشكل هذه الروابط من خلال جماعات نوعية متخصصة.

4. انتشار وسيطرة نسق من العلاقات الاجتماعية السطحية وغير الشخصية وغير المباشرة، إلى جانب سيطرة الطابع الانقسامي على الأدوار الاجتماعية. وبالتالي تتسم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد في المدينة بالثانوية والنفعية أكثر من كونها أولية وتكاملية وعاطفية.

5. الاعتماد على الأساليب غير المباشرة للضبط الاجتماعي؛ فكلما كبر حجم المجتمع الحضري كلما أصبحت مشكلة الضبط أكثر وضوحا وكانت أجهزة التنظيم والضبط الثانوي أكثر تنظيما ويحقق فيه الضبط القانوني والشرعي لتنظيم العلاقات المعقدة والنفعية بين سكان الحضر.

6. يتسم سكان المجتمع الحضري بالفردية حيث تشجع الحضرية وباستمرار على تأكيد الروح الفردية، فتنوع الجماعات التي قد ينتمي إليها الأفراد وتعدد المصالح التي توجد بينهم، وما

---

[1] – محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص125.

[2] – عبد الرؤوف الضبع، مرجع سابق، ص ص،23.24.

تشجعه الحياة الحضرية من روح المنافسة كل ذلك من شأنه أن يجبر الفرد على أن يتخذ قراره بنفسه، وعلى أن يخطط لحياته بطريقة فردية مستقلة.[1]

7. اللاتجانس السكاني، وذلك من حيث الخصائص النفسية والاجتماعية واللغوية والمعتقدات وأنماط السلوك، فسكان الريف بالمقارنة بسكان الحضر يتميزون بأنَّهم أكثر تجانسا، ومعنى هذا أنَّ الريفية ترتبط سلبيا باللاتجانس، بينما يتسم سكان الحضر باللاتجانس ويرتبطون به ارتباطاً ايجابياً.[2]

كما تم تحديد خصائص المدينة باعتبارها ظاهرة اجتماعية[3]:

– تمتاز المدينة بأنها ذات طبيعة إنسانية بثلاث طبائع (حيوية، نفسية وإجتماعية).

– المدينة تلقائية المنشأ، تبدأ كمجموعة منازل متناثر لتشكل بعد تجمعها قرية، يؤدي تزايد السكان إلى توسع القرية ونمو بعض الوظائف وتنوعها، كالحرف وبعض النشاطات المرتبطة بالزراعة، وبالتدريج تتحول إلى مدينة، وهذا يعني أنَّ المدينة كظاهرة إجتماعية ليست من صنع الفرد، ولكنها من صنع المجتمع وبوحي من العقل الجمعي.

– المدينة ظاهرة عامة منتشرة في كل المجتمعات.

– تمتاز المدينة بموضوعيتها وشيئيتها، أي أنَّ معرفتنا بها تستمد من الواقع، فلكل مدينة تراث اجتماعي.

– تمتاز المدينة بالترابط، باعتبارها بناء اجتماعي يضم مجموعة من النظم والأنساق المتداخلة والمتفاعلة.

– تتصف المدينة بالجبر والإلزام.

---

[1] – محمد ياسر الخواجة، مرجع سابق، ص29.

[2] – حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مشكلات المدينة: دراسة في علم الاجتماع الحضري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،2005، ص10.

[3]– كايد خالد عبد السلام، جغرافيا المدن، دار الجنادرية، عمان، الأردن، 2017، ص ص،54.53.

ورغم هذه الاسهامات التي حاولت تقديم خصائص للمدينة إلاَّ أنَّه لايمكن إعتمادها كخصائص شاملة وموحدة وبالتالي عدم إمكانية تعميمها على كل المدن، فارتباط هذه الخصائص بمفهوم بالمدينة الذي بدوره لم يصل إلى تحديد شامل وموحد، يترتب عليه أيضا عدم وضوح خصائصها بنفس الدرجة.

3. أشكال المدن المعاصرة:

1.3. المدن الذكية:

المدن الذكية هى الإطار العمرانى الذي يربط ويدير كافة القطاعات البيئية والاقتصادية والاجتماعية والنقل والبنية الأساسية من خلال استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.[1] وبالتالي تعتمد المدن الذكية المستدامة على البنية التحتية للاتصالات المستقرة والآمنة والموثوقة وقابلة للتشغيل البيني لدعم حجم هائل من التطبيقات والخدمات القائمة على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

يرجع استخدام مفهوم المدينة الذكية إلى المؤتمر الأوربي للمدينة الرقمية في عام 1994، أما التجسيد الفعلي لها فقد كان سنة 1996، في كثير من المدن الأوروبية، ولعل أهم نموذج للمدينة الذكية بأوربا هو مدينة أمستردام كمدينة رقمية، ثم مدينة هلسنكي، أما في الولايات المتحدة فلم تلقى المدن الذكية نجاحاً كبيراً بسبب هيمنة التوجه التجاري على المدن، وعدم تحقيق البعد الشامل المميز للمدينة الذكية بتكامل جوانبها الحضرية.[2]

2.3.عناصر المدينة الذكية:

[1] طاهر عبد السالم حامد وآخرون، مرجع سابق، ص63.

2 بن حدة باديس، استراتيجية الحوكمة الإلكترونية في التوجه نحو تفعيل المدن الذكية، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الانسانية،2017، ص 61-84.

ترتبط أبعاد المدن الذكية بنظريات التنمية العمرانية المستدامة، كالنقل والاقتصاد، والموارد الطبيعية، ونوعية الحياة، والمشاركة بينها. وتتضمن العناصر التالية:[1]

1.3.2.الاقتصاد الذكي :(Smart Economy) وهو الاقتصاد المشجع للابتكار والريادة والإنتاجية، زيادة على ريادة الاعمال وتنمية روح الابتكار والتنافس على الإنتاج الممتاز بواسطة استخدام أحدث المعدات والبرامج التكنولوجية.

2.3.2. البيئة الذكية :(Smart environment) هي البيئة الطبيعية او العمرانية لتمثل البيئة المادية للمدينة التي يتم اجراء جميع الأنشطة من خلالها.

3.3.2. الحكومة الذكية/الالكترونية:(E-Government)

وهي تطوير منظومة العمل الحكومي باستخدام الوسائل الالكترونية من خلال:

أ. تقديم المعلومات: وذلك بإتاحة كافة الفعاليات والمعلومات المتعلقة بسكان المدينة.

ب. الاتصالات: القدرة على تبادل المعلومات والتواصل بين السكان والحكومة.

ت. التعاملات الالكترونية: من خلال تأدية الخدمات الإلكترونية.

4.3.2. الذكاء الجماعي:

هو جانب هام من المدن الذكية لأنها تدعم ابداع رأس المال البشري، والتعليم والتطور التكنولوجي ومشاركة المواطنين. في السنوات الأخيرة، بمساعدة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، مركزا أصبحت شبكات التواصل الإجتماعي لتجمع الذكاء الجماعي، والتعاون الذي يتم دعمه عن طريق شبكة الإنترنت وأشكال مختلفة من فرص المشاركة[2].

3.2. نماذج لمدن ذكية:

مدينة الرياض: المملكة العربية السعودية، تستخدم المدينة تدابير مكافحة ازدحام حركة المرور، بما في ذلك تدابير التحكم في حركة المرور التكيفية أو تدابير تحديد الأولويات. ويقوم

[1] عذاب العزيز الهاشمي، المدن الذكية وأثرها على الاستدامة الاقتصادية: نظرة معاصرة في إطار المفاهيم والتجار، https://www.politics-dz.com

[2] طاهر عبد السالم حامد وآخرون، مرجع سابق، ص56.

نظام النقل الذكي بمراقبة وإدارة حركة المرور في المدينة من خلال مختلف أجهزة الاستشعار ونظام التلفزيون بدارة مغلقة .(CCTV) ويستخدم تحليلات متقدمة للقيام بتحليل تاريخي وتنبؤي في الوقت الفعلي للحركة، بما في ذلك الإبلاغ محدد السياق عن حوادث المرور وحركة المرور لإبلاغ لوحات معلومات المرور ومؤشرات الأداء الرئيسية للإبلاغ[1].

مدينة دبي:

تُعتبر دبي مدينة رائدة عالمياً في الابتكار الرقمي والنمو الذكي بفضل تقنياتها المتقدّمة كإطلاق الجيل الخامس وانتشار الخدمات الذكية وتقنية التواصل بين الآلات ووسائل النقل المترابطة. حيث نفّذت دبي الذكية كدائرةً حكومية أكثر من 130 مشروعاً ذكياً في أنحاء المدينة. وقد صُمِّم كل مشروع بهدف تحسين جودة الحياة والحدّ من الهدر بجميع أشكاله وزيادة كفاءة دبي على كافة المستويات مما يؤدي إلى توفير المال والكفاءة في استخدام الوقت ومراعاة البيئة. وتشمل بعض البرامج التي تشرف عليها الدائرة استراتيجية التعاملات الرقمية "بلوك تشين" وأجندة السعادة ومنصة "دبي بالس[2]."

تجربة سنغافورة:

وهي جزيرة صغيرة تبدى اهتماما كبيرا للبيئة وفي عام 1992م بدأت فكرة الجزيرة الذكية بين مسؤولي الحكومة لهدف تحسين نوعية الحياة للجميع، وتحقيق النمو الاقتصادي. حصلت على المرتبة الأولى بين المدن الذكية في عام 2009م بناء على تقييم مؤسسة فوربز، وفي عام 2011، 2012 م نالت المرتبة الأولى في سهوله أنشطة الأعمال من قبل مجموعة البنك الدولي..

[1] عذاب العزيز الهاشمي، مرجع سابق، www.politics-dz

[2] سميرة لطرش وآمنة لحماري، المدن الذكية بين الواقع والتحديات، إمارة دبي الذكية نموذجاً، مجلة دراسات اقتصادية، مج08، ع01، جوان 2021، ص ص، 193.194.

المحاضرة الخامسة

السيرورة التاريخية لظهور المدن وعواملها المتعددة

1. أسباب ظهور المدن
2. وظائف المدن

المحاضرة الخامسة السيرورة التاريخية لظهور المدن وعواملها المتعددة

تمهيد:

يعتبر ظهور المدينة باعتبارها نظاماً اجتماعياً فريداً يعبر عن أعلى درجات الرقي الحضاري، نتاجاً لما سبقها من سلسلة تطورات مست أوجه التجمع الانساني وطبيعة الأنشطة التي عرفها والتي شكلت في نفس الوقت حلقات هذا التطور، يقدر المؤرخون أن أولى تلك الحلقات تمتد إلى العصر الحجري الحديث حينما تحول الإنسان عن حرفة الجمع والالتقاط إلى إنتاج الطعام عن طريق الزراعة واستئناس الحيوان، ويرجع ذلك إلى ما بين خمسة وسبعة آلاف سنة قبل الميلاد، ولقد أدت هذه التطورات بالنسبة للشرق الأوسط إلى استقرار الإنسان وتجمعه في مجموعات كونت قرى، وبمرور الزمن اتسعت القرى وتحولت إلى مدن، وظهرت المدن أول ما ظهرت في وديان الأنهار في أوائل الألف الرابعة قبل الميلاد[1].

1. أسباب ظهور المدن:

فمن العوامل التي أدت إلى نشأة المدينة حسب جوردن تشيلد G.Childe، أنَّ مجتمع قرية من القرى استطاع إن ينتج ما يكفي جميع أفراده ويحقق فائض في الانتاج الغذائي، بحيث يستطيع جزء منهم بإنتاج الطعام ويتفرغ جزء آخر لإنتاج أعمال أخرى كان يتفرغ للتفكير والتأمل والإبداع والتنظيم والتخطيط والفن أو الدين أو السياسة[2]. غير أن عالم الاجتماع الحضري (كنجزلي ديفز) يعتقد أن البداية الفعلية لظهور المدن كانت حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، وتزامن مع بداية معرفة الإنسان للقراءة والكتابة.

كما اقترن ظهور المدن بتقدم العلوم والقدرات الفنية، ومن أهم هذه القدرات استعمال المعادن والاشتغال بالنشاط غير الزراعي، وهكذا ظهرت التجارة والصناعة في بعض القرى مشكلةً بذلك نشاطاً إقتصادياً مخالفاً للمجتمعات الزراعية، أسهمت طبيعة هذا النشاط الاقتصادي في زيادة السكان وفي تركيز تجمعهم فتحولت تلك التجمعات بالتدريج إلى مدن،

---

[1]– محمد محمود محمدين، المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، ط4، دار المريخ، القاهرة، ص392.

[2]– عبد الفتاح محمد، في جغرافيا العمران، دار النهضة العربية، بيروت،1980، ص37.

وبالتالي فإن ظهور المدينة حسب لويس ويرث لم يكن نتيجة خلق فجائي وإنَّما كان حصيلة عملية نمو وتراكم، كما شكل التخصص في الصناعة في العصور القديمة وظيفة انفردت بها المدن مقارنة بالأنماط العمرانية الأخرى البدوية والريفية، وهذا ما أفرز تنظيم اجتماعي جديد.

أما عن تطور المدينة فيعرض محمد عبد الفتاح تطوراً كرونولوجياً إبتداءً من المدن القديمة التي تضمنت المدن الأولية التي ارتبطت في نشأتها بزيادة إنتاج الأرض، وهي مدن بسيطة تميزت ببساطة بنيتها ووظائفها، بالإضافة إلى صغر حجمها السكاني ترواح بين السبعة آلاف إلى عشرون ألف نسمة، وبعضها تجاوز ذلك نتيجة إتساع رقعتها، مثل بابل وسوسه وأور وكيش جنوب العراق وطيبة ونينوي، ومدينة بوتو في دلتا النيل، بالإضافة إلى عواصم الامبراطوريات التي تركت فيها القوة والمال وقامت فيها دور العبادة والأسواق. وبعد ظهور المدن الأولية بزمن طويل ظهرت المدن التجارية التي ارتبطت بنشاط العمران المدني وزيادة إحتياجات السكان، كما قامت هذه المدن بدور الوسيط التجاري بين مدائن العالم القديم، كمدينة Phylakopie في بحر إيجة جزيرة Milos ،وبيبلوس Byblos على ساحل الشام، ومدينتي صيدا وصور الفنيقيتين، وعموما قد ظهرت هذه المدن على الجزر وسواحل البحر الأبيض المتوسط، أما المدن الداخلية فقد عُرفت بمدن القوافل التي شكلت حلقة وصل بين الساحل الفينيقي وبلدان الشرق الأوسط مثل حلب ودمشق وتدمر[1].

أما فترة العصور الوسطى فقد لعب العامل العسكري والعامل الديني دوراً هاماً في ظهور بعض المدن، حيث نشأت المدن حول المعسكرات الرومانية وحول الكنيسة، وبذلك شهدت هذه الفترة ظهوراً للمدن الكبرى، وتطوراً للحياة الحضرية. ومنذ عصر التنوير وحتى الثورة الصناعية ظهرت المدن السكنية حيث لعبت التكنولوجيا دوراً في النمو السكاني، كما ساعدت الثورة الصناعية منذ القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر على تقدم الصناعات وبدأ ظهور المدن الصناعية ونموها وتطور مرافقها وخدماتها، وامتد مع القرن التاسع عشر الذي جاء بمثابة ثورة

[1]– عبد الفتاح محمد، مرجع سابق، ص ص،39. 41.

حضرية، حيث شهد العالم منذ 1800م–1900م ارتفاعاً واضحاً في معدل النمو الحضري وتزايدت عملية التحضر[1].

وبذلك فإن المدن كانت قد نشأت في البداية لأسباب زراعية، ثم تطورت بعد ذلك لتكون لأسباب تجارية، فسياسية وعسكرية، ثم بعد ذلك لأغراض صناعية. وبالتالي يمكن ايجاز أهم تلك العوامل التي أدت لنشوء وتطور المدن في:

العوامل الطبيعية والجغرافية، العوامل السياسية، العوامل الإقتصادية، العوامل الدينية والعسكرية، ثم العوامل النفسية، كما ترتبط عوامل نشوء المدن بالوظائف التي تؤديها تلك المدن، فالوظيفة تفسر سبب وعوامل نشوء المدينة، ولهذا يمكن عرض أهم الوظائف التي ارتبطت بالمدن من خلال العرض الآتي:

2. وظائف المدن:

انطلاقاً من التحليل الوظيفي للمدن تم تصنيف عدة أنواع من المدن حسب الوظيفة التي تؤديها[2]، يتبيَّن لنا أن للمدينة عدة وظائف وذلك تبعا للتجمعات البشرية التي تستقر فيها وتمارس نشاطا معينا، فالمدن تؤدي بصفة عامة مجموعة من الوظائف تختلف فيما بينها، وهي وظائف متداخلة لدرجة كبيرة وليس من السهل تحديد أي وظائف هي الأولى والسائدة في المدينة، مما يزيد الأمر تعقيدا للمدينة الحديثة محاولة تنويع وظائفها، فالوظيفة هي أساس قيام المدن.

1.2ـ المدينة الحربيــة:

من الاعتقاد عند الأركيولوجيين أن الوظيفة الحربية هي أقدم وظيفة عرفتها المدن، فأول مدينة في التاريخ كانت مدينة عسكرية، ويرجع السبب في ذلك إلى اكتشاف المعادن، هذا الاكتشاف ساهم بقوة في صناعة الأسلحة كان من ورائها الدفاع عن أمن المدينة وعلى

[1]– سعيد أحمد هيكل، مرجع سابق، ص ص،134 .142.

[2]– سعيد أحمد هيكل، علم الاجتماع الحضري، دار أسامة، عمان، 2011. ص122.

سلامة أرضه، فالإنسان بطبيعته متعلق بأرضه، وهذا ما ردده روبير آردي بقوله أن الإنسان في جوهره حيوان حيزي متعلق بأرضه.

لا ننسى أن هذا الاكتشاف ساهم أيضا في التوسع على حساب الشعوب الأخرى من أجل استغلال ثرواتها، ويبدوا لنا أن كل من الحضارات القديمة مثل اليونان ومصر وروما والصين، أن مدنها كانت تقوم على بناء الأسوار المرتفعة كي تصد هجمات الغزاة، هذا ويمكن القول أن وظيفة المدن الحربية تنقسم إلى نوعين، وهي برية وبحرية[1].

2.2ـ المدينة الدينية:

تعتبر الوظيفية الدينية للمدن من أقدم الوظائف التي ارتبط نشوء المدن بها، حيث العلاقة بين الوظيفية الدينية وحياة المدن علاقة قديمة وثيقة، ولهذا كان الدين عاملاً رئيسياً في نشأة كثير من المدن، فأقدم المدن هي تلك المدن التي أسست لغرض العبادة، كما عرفت عند السومريين والآشوريين والمصريين، كما عرفت المدن الإغريقية واليونانية بأسماء الآلهة. أما مدن أوروبا خلال العصور الوسطى فقد إرتبطت غالبية المدن بالعامل الديني المسيحي، كما قامت الكنيسة بالحفاظ على كثير من المدن بعد فترة النهضة، والتي ظلت التجمعات السكنية قائمة حولها حتى عادت إلى النمو بعد النهضة، كما يعتبر الدين الإسلامي أكثر الديانات المنشئ للمدن[2].

يعتبر الاتجاه القيمي في الدراسات الحضرية أهم اتجاه ركز على دراسة تأثير القيم الدينية في تشكيل البناء الأيكولوجي للمدينة وتحديد ملامح البناء الاجتماعي لها، وهذا ما يؤكد تاريخياً تأثر كثير من المدن القديمة بالقيم الدينية، حيث نشأت وتأثرت في هيكلها الفيزيقي وطابعها الاجتماعي بتلك القيم، مثل القدس ومكة وروما وغيرها من المدن.

---

[1]– عبد الإله فرح، مقدمة في علم الاجتماع الحضري، http://www.almothaqaf.com تاريخ الزيارة: تاريخ الزيارة 2016/09/21.

[2]– جمال حمدان، جغرافية المدن، ط2، دار عالم الكتب، القاهرة، د ت، ص ص، 175، 174.

ونجد تمييزاً بين هذه المدن الدينية إلى خمسة أنواع، مدن الحكم الديني، والمدن التذكارية أو الرمزية، ومدن المدافن أو الأضرحة، ومدن الأديرة والحج[1].

أ ــ مدن الحكم الديني: تنشأ بصبغة دينية سياسية، مثل بغداد وفاس وبعض العواصم الاسلامية الاخرى.

ب ـ مدن تذكارية أو رمزية: فهي مدن ترتبط برمز دور ديني هام مثل فلسطين القدس.

ج ـ مدن الاضرحة: وهي المدن الدينية التي عرفت إنتشاراً واسعاً مقارنة مع المدن الدينية الأخرى، حيث أنها نشأت كنواة أولية حول ضريح ولي أو قديس.

د ـ مدن الأديرة: يقابلها في الإسلام مدن الزاوية، وتعتبر أهم فئات المدن الدينية، ورغم أنها تتخذ من المناطق الصحراوية أو الجبلية مكاناً للخلوة والعزلة لها، إلاَّ أنها تجذب حولها الأتباع والمريدين، فيتبعهم أصحاب الخدمات والحرف الضرورية، فتنشأ مدينة الدير أو الزاوية.

3.2ـ المدن السياسية:

إنَّ للمدن وظائف سياسية لا تظهر بشكل طبيعي، وإنما توجد نتيجة قرار أو مرسوم مفروض، فهي عبارة عن حتمية ضرورية تاريخية رافقت نشأة المدن، فبوجودها ملازم لوظائف أخرى مثل التجارة والصناعة، والحربية، وتلعب هذه المدن وظيفة قيادية في تدبير المجال السياسي، وغالبا تكون هذه المدن هي العواصم التي تعد رمزا من رموز الدولة، فهي مركز السلطة السياسية والسلطات الإدارية للدولة[2].

وقد ارتبط مفهوم السياسة بالمجتمع المديني، وبالخصوص مع الحضارة اليونانية القديمة، إذ ذهب كل من أفلاطون (جمهورية أفلاطون) وأرسطو(السياسيات) بأنه لا يوجد مجتمع يخلو من السياسة، بمعنى آخر أن السياسة محايثة للمجتمع، فهي سياسة أناس يعيشون ويجتمعون في وسط حضري تجسدها مجموعة من القوانين يحكمون بها وتحكمهم.

---

[1]– نفسه، ص ص،178.179.

[2]– عبد الإله فرح، مقدمة في علم الاجتماع الحضري، http://www.almothaqaf.com تاريخ الزيارة 2016/10/02.

4.2 ـ المدن التجارية:

يمكن اعتبار هذه الوظيفة هي المحرك الأساسي للمدينة فلا يمكن أن نتصور مدينة بغير نشاط تجاري، فالتجارة هي وظيفة قاعدية لا يمكن تجاهلها، فاكتشاف التجارة أدى بدوره إلى اكتشاف المدينة، ومن ثم ظهرت طبقة من التجار المحليين وأصحاب الحرف الصناعية.

إن هذا الدور التي تقوم به المدينة التجارية يساهم فيها بشكل كبير عامل مهم، هو عامل يرتبط بالموقع الاستراتيجي، فجل المدن تبحث لنفسها على موقع يكون الأسهل والأقرب على استيراد وتصدير البضائع وغيرها.

5.2ـ المدن الصناعية:

وقد أنشئت حيث وجدت المعادن دون النظر إلى بقية الظروف البيئية الأخرى، وتعتبر هذه الصناعة من أقوى الصناعات، فهي تساهم في خلق المدن، فهذه الصناعة يمكن القول بأنها تدين بوجودها للتركيب الجيولوجي، وبالتالي فإن مدن المعادن هي أكثر جذبا للناس بسبب المكاسب التي تقدمها للناس على نحو سريع، وبالتالي فقد أدى ظهور الصناعة إلى ظهور المدن وإتساعها وتطور علاقاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[1]

فمن العوامل التي أدت إلى نشأة المدينة، أن مجتمع قرية من القرى استطاع إن ينتج ما يكفي جميع أفراده بحيث يستطيع جزء منهم بإنتاج الطعام ويتفرغ جزء آخر لإنتاج أعمال أخرى كان يتفرغ للتفكير والتأمل والإبداع والتنظيم والتخطيط والفن أو الدين أو السياسة[2].

كما اقترن ظهور المدن بتقدم العلوم والقدرات الفنية، ومن أهم هذه القدرات استعمال المعادن والاشتغال النشاط غير الزراعي، وهكذا ظهرت التجارة والصناعة في بعض القرى فتحولت إلى مدن. وقد كان التخصص في الصناعة في العصور القديمة وظيفة انفردت بها المدن.

---

[1]– نصر محمد عارف، الحضارة – الثقافة– المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، ط2، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية،1994، ص36.

[2]– إدريس عزام وآخرون، مرجع سابق، ص203.

تختلف الوظيفة الصناعية عن الوظيفة التجارية للمدن، ذلك لأنَّ الصناعة ليست في أصلها خلاقة للمدن بصفة دائمة، رغم أنَّها ذات دور مدني هام، فكل المدن التي نمت نمواً كبيراً في العصر الحديث شهدت تنمية صناعية كبيرة. ذلك لأنَّ الصناعة تقوم معتمدة على المدينة ووسائط النقل وتوفر الموارد وغير ذلك، ومن هنا يمكن القول إنَّ الصناعة قامت على التجارة في العصور القديمة والوسطى، أما في العصر الحديث فقد نمت الصناعات الحضرية واتسع سوقها ليتعدى حدود المدينة، وكان في ذلك إشارة إلى نمو الوظيفة الصناعية واستغلالها.

وتندرج المدن الصناعية العربية ضمن هذا النوع من المدن، أي أنَّ المدن العربية هي أساساً مدن تعدينية (استخراجية)، وهذا يعني أنَّ صناعاتنا لازالت في جوهرها صناعة أولية خامية، وبالتالي فإنَّها توصف على أنَّها (صناعات مدن) وليست (مدناً صناعية)، كما أنَّ أغلبها صناعات خفيفة استهلاكية بسيطة، ثم أن مدن التعدين العربية هي بدورها تبتلعها فئة واحدة أساساً هي مدن النفط، أما مدن المعادن الأخرى فهي قليلة نسبيا، نستطيع أن نميز منها مدن الفوسفات والمنغنيز والفحم والحديد.

المحاضرة السادسة نماذج عالمية ومحلية للمدينة

1.المدن في العصر القديم:

2.المدينة الرومانية

3.المدن في العصور الوسطى

4.المدينة الاسلامية

5.المدينة المغاربية

6.الظاهرة الحضرية في الجزائر

المحاضرة السادسة نماذج عالمية ومحلية للمدينة

تمهيد:

اقترن ظهور المدن بتقدم العلوم والقدرات الفنية، ومن أهم هذه القدرات استعمال المعادن والاشتغال بالنشاط غير الزراعي، وهكذا ظهرت التجارة والصناعة في بعض القرى فتحولت إلى مدن. وقد كان التخصص في الصناعة في العصور القديمة وظيفة انفردت بها المدن.

1.المدن في العصر القديم:

يرجع تاريخ نشأة المدينة الى عصور موغلة في القدم فقد شهد العراق القديم قيام اولى الحضارات البشرية وانتقل انسان العراق القديم في سلم التطور الحضاري من الانسان الذي يعيش معتمدا على الصيد وعدم الاستقرار الى مرحلة الاستقرار الزراعي وتربية الحيوانات.

أن مجتمع قرية من القرى استطاع إن ينتج ما يكفي جميع أفراده بحيث يستطيع جزء منهم بإنتاج الطعام ويتفرغ جزء آخر لإنتاج أعمال أخرى كان يتفرغ للتفكير والتأمل والإبداع والتنظيم والتخطيط والفن أو الدين أو السياسة.

ارتبطت نشأتها بالأودية الخصيبة الحضارة المصرية بوادي النيل، والحضارة السومرية بين الرافدين، وحضارة هومنجودار في الهند، والتي تعتبر من أسبق مدن العالم القديم ظهوراً واستقراراً، بالاضافة للمدن القديمة التي نشأت في أحضان الحضارة البابلية والآشورية والفارسية والمدن الفينيقية التي ازدهرت على ساحل البحر الأبيض المتوسط مثل صيدا وصور. كامت قامت مدن في حضارة اليونان، كما شهد أيضاً العصر الروماني عدة مدن.[1]

عُرِفت المدن اليونانية كأثينا وأسبرطة وسيراكوز كونها مدينة ودولة في نفس الوقت، أنها كانت مستقلة ولها حكومتها الخاصة، يحيط بها سور للحماية، وادخله يسكن أهل المدينة، وفي وسط المدينة يسكن الأمراء والحكام، وعلى حواف المدينة العامة والتجار وأصحاب المهن، أما القرى فتقع خارج أسوار المدينة، ولها علاقات وظيفية تربطها بالمدينة.[2]

---

[1] محمد ياسر خواجة، مرجع سابق، ص85.

[2] غريب محمد، مرجع سابق، ص122.

وحوالي 2500 ق.م كانت السمات الرئيسية في المدينة قد تكونت واتخذت مكانها في القلعة، إن لم يكن في المجتمع الحضري بأسره، فالماوى المحاط بالأسوار والشارع ووحدة المساكن، والسوق، وحرم المبعد، والوحدة الإدارية والمنطقة الصناعية، كانت جميعاً موجودة في شكل بدائي على الأقل.[1]

2.المدينة الرومانية:

أما خلال الفترة الرومانية فقد اعتبر تأسيس المدن عملاً مقدساً بارتباطه بالطقوس الدينية، حيث ان انشاء المدينة الجديدة كان يشمل عملاً مزدوجاً إحداهما خاص بالطقوس الدينية، أما الثاني فهو عمل فني هندسي.

تميز تخطيط المدينة الرومانية بالشكل المربع او المستطيل يخترق طريقان رئيسيان متعامدان، بهما أعمدة تميزها عن بقية الشوارع، أحدهما من الشمال إلى الجنوب والآخر من الشرق إلى الغرب، وهذا التقاطع الرئيسي للشارعين يشكل مركز المدينة يتضمن ميدان مفتوح، كما ينتج عن تقاطع الشارعين الرئيسين تقسيم المدينة إلى أربعة أقسام، بالاضافة لسور الذي يحيط بالمدينة ببواباته الأربعة. وبالتالي تتميز المدينة الرومانية عن المدينة الاغريقية بميزة التقاطع المركزي للشارعين الرئيسين.

تركت الامبراطورية الرومانية أثرها في كل أنحاء أوربا حيث غيرت أسلوب الحياة في المدن القديمة وأقامت نظامها الخاص في مئات المدن.

3.المدن في العصور الوسطى:

ارتبطت مدن هذه الحقبة (عصور الاقطاع الاوربي) بمدن الحرف والطوائف، تلك التي بدأت فيها الادارات الحضرية، مثل ادارات البلديات والمرافق.[2]

---

1 غريب محمد، مرجع سابق، ص 118.

[2] قباري محمد اسماعيل، مرجع سابق، ص20.

4.المدينة الاسلامية:

كانت نشأة المدينة في الاسلام مرتبطة بتحويل مجموعة من القرى التي كانت تسمى يثرب إلى مدينة ذات شِرعَة "دِين" وسلطان "دَان" ومميزة عن سائر أوجه الاستقرار البشري البدوي و القروي، كما ارتبطت على مدى التاريخ الاسلامي بمختلف جوانب النموذج الاسلامي للحياة الانسانية، فالمدينة مثلت بدستورها(صحيفة المدينة) نظاماً مجتمعياً وبنظام إقتصادي جديد (استعمال النقود بدل المقايضة) وبعلاقات إجتماعية جديدة (الإخاء، تنظيم العمل، التخصص) وبالرابطة السياسية بين مختلف الأصول العرقية والعقيدة الدينية، بالإضافة للشكل النمط المعماري المميز بمركزية المسجد الجامع والسوق، كل ذلك أحدث نقلة نوعية على مستوى الإعتقاد والتصور ومنهج الحياة والتفكير.[1]

وبالتالي إختلفت خصوصية المدينة الاسلامية مقارنةً بالمدينة الغربية من حيث أسبقية القيم عن نمط الحياة الحضرية، فالمدينة الاسلامية كانت نتاج قيم الاسلامية وليست سبباً لها، على عكس ماعرفته التجربة الحضرية الغربية، من تأثير المدينة ـ كسبب ومصدر ـ لبروز قيم و أنماط وسلوكيات جديدة فرضتها طبيعة الحياة الحضرية، ومن ثم كانت المدينة الاسلامية إحدى صور تشكل حياة المسلمين الذين إستنبطوا وتمثلوا تلك القيم الراقية التي كانت العقيدة الاسلامية مصدراً لها[2]، وهذا ما توصلت إليه دراسات فون جرينبايم V Grunebaum[3] للمدن الاسلامية حيث أكدَّ على أهمية ودور القيم الدينية وتأثيرها كمنظومة أخلاقية ومجموعة معتقدات على المدينة والحياة الحضرية وكذا تنظيمها الاجتماعي.[4]

---

[1] نصر محمد عارف، مرجع سابق، ص ص،51،50.

[2]– المرجع، نفسه، ص52.

[3]– غوستاف إدموند فون جرونيباوم:V Grunebaum مؤرخ ومستشرق نمساوي ولد في 01 سبتمبر 1909 في فيينا النمسا ، وتوفي 27 فبراير 1972 في لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية ، من أهم مؤلفاته " إسلام العصور الوسطى" الصادر سنة 1946.

[4]– سعيد أحمد هيكل، علم الاجتماع الحضري، دار أسامة للنشر، الأردن،2011، ص92.

وقد أكدت غالبية كتابات المسشرقين التي سبق ذكرهم على أن للمدينة الاسلامية شخصيتها وطابعها الخاص، بإعتبارها إسلامية في المحل الأول، وأنَّ لهذه الشخصية الحضرية "روح" عامة ثابتة ومستمرة عبر التاريخ الاسلامي كله، كما أن هذه الروح هي التي أمدت المدينة بذاتيتها وهويتها، ورغم ما يقال عن افتقار المدينة الاسلامية للتنظيمات الرسمية فإنَّ المجتمع الاسلامي الحضري كان يتميز بالتماسك والتآلف يستمد قوته من تنظيمات عديدة غير رسمية، مثل الطوائف المهنية والطرق الصوفية[1].

1.4. مورفولوجيا المدينة الاسلامية:

عنى الجانب المورفولوجي بإسهام كبير في فكر العلماء العرب وأيضاً الاستشراقي مركزاً بذاك على ابراز الشخصية الاسلامية للمدينة، حيث اتفقت أغلب التناولات على العناصر التالية:[2]

1- مركزية المسجد الجامع.

2- احاطة السوق للمسجد الجامع.

3-الاحياء السكنية المنفصلة "قطائع" حسب المهنة أو صلة القرابة.

4-الشوارع الضيقة والازقة المغطاة " السقائف ".

5- وجود الاسوار حول المدينة تضم بوابات ضخمة.

كان لسياسة الحكام الرامية الى العمران اثرها الواضح في تطور المدن وازدياد عمرانها وتبلور كثير من النظم الإسلامية التي ادت بدورها الى زيادة عمران المدن، ولا أدَّل على ذلك من ظهور المدارس كمؤسسات تعليمية والخانقات والربط والزوايا كمؤسسات دينية، وكان لوقف الأوقاف عليها الأثر البالغ في تطور المدن وازدياد عمرانها حتى نهاية العصر العثماني، ولعبت الأوقاف دوراً خطيراً في إحياء المدن وانتشرت انتشاراً ملحوظاً حتى خصص لها ديوان

---

[1]- أحمد أبو زيد، المدينة الاسلامية، مجلة عالم الفكر، المجلد 11 العدد 01، ماي 1980، الكويت، ص09.

[2]- محمد المعتصم، المدينة الاسلامية وخصائصها، حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 02،1980، جامعة قطر، ص251.

يعرف بديوان الأحباس أو الأوقاف وبدا أثره في عمران المدن الإسلامية واضحاً بصفة خاصة مع بداية القرن السادس للهجرة واستمر بعد ذلك مؤثراً اساسياً من المؤثرات التي دفعت الى تطور عمران المدينة الإسلامية وأثرت تأثيراً واضحاً في تشكيل حياتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية[1].

5.المدينة المغاربية:

حددت بمعايير لم تختلف كثيراً عن معايير المدن الإسلامية، حيث أنها كل تجمع سكاني به سور عتيق وقصبة وبرج وأسواق[2]، كما تميزت بتنظيم خاص للفضاء العمراني وللبناءات، إذ ترتفع الأسوار حولها وتجعل منها فضاءً مغلقاً، تتخللها أبواب محروسة مع العالم الخارجي، وهي بذلك تركز عن طريق الأسوار الشاهقة فكرة الثنائية بين الحضري والريفي وبين "البلدي" و"البراني"، ويعتبر المسجد من بين المنشآت العمرانية المميزة للمدينة، حيث يتوسط المدينة كما يحدد من حولها توزيع مختلف الانشطة الإقتصادية وتراتبيتها، وبدورها الديني_العلمي، تسمو بالمدينة إلى مركز قيادي ومرجعي[3]، إلى جانب المنشآت الدينية يضم الفضاء الحضري منشآت السلطة السياسية، والعسكرية أو الأمنية.

كما شكل العنصر الاقتصادي _ إلى جانب العامل الديني_ عنصراً محدداً في تنظيم المدينة، حيث أن تنظيم المدينة مبنياً بالأساس على فكرة السوق، حيث يشكل المسجد والسوق وحدة ذات ارتباط وثيق، وانطلاقاً من مركزية الجامع والأسواق، تبرز ثنائية التوزيع العمراني الحضري بين الفضاء المركزي الإقتصادي والفضاء السكني[4]، فهذا النسيج الحضري هو انتاج للنسيج

---

[1]– أنيس الأبيض، معايير حضارية في نشأة المدينة الاسلامية،http: www.alhayat.com تاريخ الزيارة: 2016/10/23.

[2]– أحمد كوال، التحضر، التحديث الحداثة في المجتمع المغربي الحديث، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص58.

[3]– دلندة الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال مصادره، مركز النشر الجامعي ميدياكوم، 2003، ص 213.

[4]– المرجع نفسه، ص215.

الاجتماعي بتقسيماته العرقية، فكل مجموعة أو تركيبة اجتماعية أو حرفية تجد لنفسها تمايزاً جغرافياً.

وبالرجوع الى تاريخ المدينة المغاربية، نجد أنَّ منطقة شمال افريقيا عموماً قد عرف ظهور المدن منذ اتصالها بالحضارة الفينيقية ثم القرطاجيين حوالي القرن العاشر قبل الميلاد، وكانت دواعيه تجارية تطلبت إنشاء المحطات والمراكز الساحلية على الموانئ بارتباطهم بالتجارة البحرية، هذه المراكز التي شكلت أنوية عمرانية تحولت بعد ذلك إلى مدن، حيث شكلت مناطق جذب للتجار والحرفين والقائمين على الخدمات واكتسبت أهمية استراتيجية في فترات لاحقة[1]. كما تركت أيضاً الفترة الرومانية بصمتها على الظاهرة الحضرية المغاربية، لذلك فالمدينة بشمال افريقيا هي نتيجة تفاعل مجموعة من التأثيرات المحلية والبونيقية والمتوسطية والاسلامية.

ومن بين أهم النظريات التي حاولت تفسير نشوء المدن المغاربية خاصة في العصر الوسيط، النظرة الميركنتيلية التي تبناها إيف لاكوست وموريس لومبارد حيث أولت إهتماماً لدور التجارة البعيدة المدى بين الصحراء الكبرى وأروبا الجنوبية، وتربط إزدهار التجارة القافلية وبين قيام المدن، حيث أثر النشاط التجاري لجذب الذي تمارسه المسالك التجارية والاهمية التي ميزت تلك المسالك[2].

توصل جاك بيرك من خلال البحوث التي أجراها للمجتمعات المغاربية وحواضرها، على أنَّ المدينة العتيقة استلهمت مرجعيتها وامتدادها من القرنين 14و15 الميلادين، أين كانت تسود سلطة الأولياء الصالحين، التي تتميز بتصميم هندسي يتمحور حول منارات المساجد وعلى أطواق الأسوار ونفوذ الاولياء وسلطتهم في تنظيم الحياة الاجتماعية، أما صفة التمدن فيرى جاك بيرك أنها إرتبطت بإحدى الخواص الاجتماعية المندمجة للمدينة المتمثلة في إنتماء

[1]– محمد نصيح، محددات نشاة المدينة وتطورها بالمغرب الاقصى خلال العصر الوسيط، ضمن المدينة في تاريخ المغرب العربي، أشغال الندوة المنظمة 26/24 نوفمبر 1988، جامعة بنمسيك الدار البيضاء، ص ص،79.78.

[2]– محمد نصيح، مرجع سابق، ص83.

إما لفئة الحرفيين أو المنتسبين إلى العالم الشرعي.[1] ارتكزت أبحاث جاك بيرك على التدين في المجتمع المغاربي، خاصة ما أسماه بالمقدس المجسد الذي يرتبط بالأولياء وأضرحتهم من معتقدات وطقوس.[2]

6.الظاهرة الحضرية في الجزائر:

واقع التحضر في الدول النامية عموماً، لم يأتي نتيجة لثورات صناعية أو سياسية أو ثقافية وقعت في تاريخها كما وقع في الدول الغربية المتقدمة، أو أنَّه جاء نتيجة للتطور التكنولوجي أو الاقتصادي بل جاء نتيجة لعوامل التاريخية ارتبطت بالأساس مع بداية القرن العشرين وبعد الحربين العالميتين بالتوسع الإمبريالي، وبالاستعمار الذي تعرضت له جل البلدان التابعة للمتروبولات الغربية، وبسبب تفكك البنيات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية التقليدية في هذه المجتمعات ارتفعت ظاهرة الهجرة القروية وتزايدت نسبة النمو الديمغرافي بها مما أدى إلى ارتفاع نسبة لسكان في المدن وتراجع نسبة سكان البوادي.[3]

يعتبر تغيير إطار المعيشة من أهم التغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائري، فمن مجتمع ظل أغلبيته ريفيون قبل وإبان الاحتلال الفرنسي أصبح جزء معتبر منه حضريا سنة 1954 حيث قدرت نسبة التحضر آنذاك بما في ذلك الأوربيون بـ 25%، استمرت هذه النسبة في الارتفاع، إذ بلغت حوالي 33% في سنة 1966 لتصل إلى 38% سنة 1977 وفي سنة1998 قاربت النسبة 50%.

كما أن عدد سكان المدن الجزائرية خلال تطوره زاد بأكثر من خمسة أمثاله خلال ثمانين سنة؛ ففي سنة 1886 كانت نسبة سكان الحضر الجزائريين حوالي 8% ثم انتقلت إلى

---

[1]– هنوس ناذر، التدين في أوساط الشباب الحضري حالة مدينة سيدي علي بمستغانم، رسالة ماجستير،2016، جامعة وهران 2، ص102.

[2] – Jaque Berque ,structure sociales du haut atlas, paris, puf,1955,P 256

[3]–السوسيولوجية الحضرية وسؤال المدينة بالمغرب، http://sociologiemeknes.blogspot.com/2012/06/blog-post_8992.html .

16,4% سنة 1948. ثم بلغت 27% سنة 1954 لترتفع بسرعة إلى أكثر من 30% سنة 1965.[1]

لقد تسبب في ارتفاع هذه النسب الزيادة الطبيعية المرتفعة وتواصل النزوح الريفي الناتج عن تفقير الريفيين واضطهادهم أثناء الفترة الاستعمارية، وكذا عدم توازن التنمية بين قطاع الزراعة والصناعة في السنوات الأولى من الاستقلال من جهة وافتقاد الريف آنذاك لكل أنواع الخدمات والمرافق الأساسية.[2]

فضلا عما تقدم، تأثرت الظاهرة الحضرية في الجزائر بعاملين هامين هما:

أ_ السياسة الاستعمارية:

من خلال القوانين التي طبقتها فرنسا إبان الفترة الاستعمارية كقانون الاستيطان ونزع الأراضي كقانون سيناتوس[3] SENATUS سنة 1863، وكذا قانون وارنيي[4] WARNIER سنة 1873، ثم تلتها الحرب التحريرية وما خلفته من حراك سكاني من الريف نحو المدن.[5]

كما رافقت حملة الاستعمار للجزائر ظاهرة تضخيم المدن وتوسيعها وإنشاء مدن عسكرية جديدة، بالإضافة إلى تطوير بعض المدن القديمة نتيجة لاتساع وظائفها الجديدة، فأصبحت مدن عصرية على النمط الغربي.

---

[1]– محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، د.م.ج، الجزائر،1990 ص68.

[2]– فاطمة طهراوي، التحولات المرفولوجية والوظيفية للسكن وآثارها على المحيط العمراني في الجزائر، مجلة إنسانيات، عدد5 ماي 1998، ص09.

[3]– قانون سيناتوس كونسلت 22 أفريل1863 أصدر من طرف نابليون الثالث: يتألف القانون من سبعة بنود والتي تهدف إلى تثبيت الجزائريين على أراضيهم كما إدعته الادارة الاستعمارية، والذي شكل منعرجاً هاماً في تاريخ طبيعة الملكية العقارية في الجزائر .ترتب عنه اغتصاب واستحواذعلى الاراضي لصالح المستعمر.

[4]– في سنة 1873، بادر الدكتور "وارنيي" بمشروع قانون سُمي فيما بعد بِاسمه، يستهدف إشاعة الملكية الفردية للأراضي الجماعية في الجزائر .وبالطبع، فقد ساهم هذا القانون في تجريد السكان الأصليين من أراضيهم وتشريدهم ولجوئهم إلى المدن مفيدا بذلك المضاربين العقاريين.

[5] – عبد العزيز رأس مال، الحراك الاجتماعي في الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية، الجزائر، 1983، ص156.

وأهم العوامل التي أدت إلى تطور المدن الجزائرية خلال مرحلة الاستعمار:[1]

1- تقليد المعمرين في حياتهم الجديدة للنمط الحضري الأوربي.

2- إضفاء الطابع الرأسمالي على الاقتصاد الوطني.

3- الصراع المستمر بين سكان الجزائر والأوربيين الأمر الذي أدى بالأوربيين إلى إنشاء مدن جديدة مستقلة.

كما تأثر النمو الحضري خلال هذه الفترة بالمنشئات الاقتصادية التي تم بناؤها بالمدن الساحلية وتنفيذ الأشغال الكبرى اللازمة لممارسة الوظائف العصرية بها، وكذا المؤشرات الديمغرافية التي تحسنت مع توافد الأوربيين وبداية تحرك سكان الريف نحو المدن نتيجة تأزم الأوضاع في الأرياف.

ب ـ البرامج والمخططات التنموية: أما العامل الثاني فتمثل في تطبيق خلال فترة الاستقلال، حيث سعت الدولة للنهوض بالقطاع الصناعي وكذا تطوير التعليم، ومن بين أهم هذه المخططات المخطط الثلاثي (1967-1969) والمخطط الرباعي الأول (70-73)، والرباعي الثاني (74-77) التي سعت إلى إحداث توازن جهوي إقليمي.[2] وقد أدى التوطين الصناعي إلى نمو قطاع الخدمات في المدن، مما أدى إلى تنشيط حركة الهجرة الريفية نحو هذه المدن بحثا عن فرص العمل المتوفرة بشكل أوسع في المراكز الحضرية.[3]

بعد خروج الاستعمار الفرنسي من الجزائر، امتلأت المدن التي أصبحت شاغرة بطريقة فوضوية، حيث احتلها حوالي 30% من مجموع السكان، كما عمدت الدولة إلى تشييد القرى الفلاحية التي كانت بمثابة خلايا لمدن صغيرة تحتوي على مختلف المزايا الحضرية الأساسية

---

[1]- محمد السويدي، مرجع سابق، ص80.

[2]- محمد ذرذاري، مرجع سابق، ص 43.

[3]- عبد اللطيف بن أشنهو، الهجرة الريفية في الجزائر، ترجمة عبد الحميد اتاسي، المطبعة التجارية، الجزائر، د.ت. ص 70.

التي أدت إلى تغيير الطابع الفلاحي، وقد نمت هذه القرى لتصبح مراكز حضرية أو شبه حضرية وابتعدت بذلك عن النشاط الزراعي.

2_ عوامل التحضر في الجزائر:

1.2ـ الزيادة الطبيعية :

شهدت الجزائر نمواً ديمغرافياً ملحوظاً منذ مطلع القرن العشرين وبصورة خاصة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بعدما كانت نسبة الزيادة الطبيعية لا تزيد عن 1%.[1]

وقد ميز الدكتور السويدي ثلاث مراحل لنمو السكان في الجزائر منذ بداية الاحتلال سنة 1830 حتى عهد الاستقلال وهي:[2]

1- مرحلة الركود والتراجع السكاني: والتي بدأت من فترة الاحتلال حتى سنة 1886، حيث ظل عدد السكان خلال هذه الفترة يتجه نحو التدني باستمرار حتى بلغ 2.462.935 نسمة سنة 1876 بسبب انتشار الأمراض والأوبئة، بالإضافة إلى الحروب الاستعمارية والثورات الوطنية التي شهدتها الجزائر وكذا انخفاض المستوى الصحي العام لقلة المرافق الصحية (50 وفاة للألف).

2- مرحلة النمو السكاني البطيء: ما بين سنتي (1886-1921)، وهي مرحلة مستقرة دامت 35 سنة، حيث تراوحت الزيادة الطبيعية فيها بين 0,4% - 1,7%.

3- مرحلة الانفجار السكاني: امتدت من سنة 1921 حتى يومنا هذا، فقد تضاعف عدد السكان بين سنتي 1906-1960 حيث بلغ 10.637.896 نسمة سنة 1960، ووصل ما يقارب 18 مليون نسمة سنة 1977، ليصل في آخر إحصاء سكاني سنة 2008 زهاء 35 مليون نسمة.

---

[1] - عبد الحميد دلمي، دراسة في العمران، دار الهدى، عين مليلة.2007، ص116.

[2]- محمد السويدي، مرجع سابق، ص 84 .

كما ارتفع معدل التحضر بين 20% إلى 27% في الفترة (1925-1962) تلازماً مع الزيادة الديمغرافية البالغة 2% مع التراجع في نسبة الوفيات منذ سنة 1930. أما فترة الاستقلال فقد عرفت نموا سكانيا معتبراً، حيث وصل معدل النمو السكاني السنوي 3.09% ما بين التعدادين السكانيين 1977 و1987، منخفضا بذلك على الفترة 1966-1977 حيث سجل المعدل 3.21%. إلاَّ أن المعدل سجل هبوطا حقيقيا بلغ 3.01% مع مطلع العام 1992، ليبلغ عدد السكان خلال نفس السنة 26 مليون نسمة. والملاحظ من الإحصاءات الأخيرة أن سكان الجزائر يزيد بـ 900 ألف نسمة في كل سنة.[1]

2.2- الهجرة:

تعتبر الهجرة إحدى أهم العوامل المؤثرة في نمو وتوزيع السكان على مختلف مناطق البلاد، شأنها في ذلك شأن النمو الديمغرافي لأنها تلعب دورا أساسيا في ارتفاع كثافة سكان الحضر.يعرف قاموس الديمغرافية الهجرة بأنها "حركة الفرد نتيجة لتغيير مكان إقامته،"[2] كما أوضح إسحاق قطب أن الهجرة ليست دائما ظاهرة غير صحية وتحدث على العموم نتيجة لمجموعتين من القوى:

1- القوى الطاردة: من الأرياف نتيجة لهبوط مستويات المعيشة الاجتماعية والاقتصادية.

2- القوى الجاذبة: ارتفاع مستويات المعيشة، وتوفر الخدمات الصحية والتعليمية وفرص العمل.

وبالتالي يتم الانتقال بدافع القوى الطاردة من الأرياف نحو القوى الجاذبة التي توفرها المدن للبحث عن حياة أفضل.

---

[1]- عبد الحميد دلمي، مرجع سابق، ص116.

[2]- عبد الحميد دلمي، مرجع سابق، ص127-128.

ويرجع عبد اللطيف بن أشنهو عملية التحضر عام 1962 إلى تسارع الهجرة الريفية بسبب الحرب بالإضافة لسياسة تجميع السكان في المدن سنة 1966.[1]

غير أنَّ الظاهرة ترتبط بفترة الاحتلال الفرنسي الذي اتخذ سياسة الاستيطان، التي انتزعت أراضي الفلاحين ومنحتها لملكية المعمرين من خلال القوانين التي صدرت كقانون senaturs سنة 1831 وقانون وارنر سنة 1873، بالإضافة إلى القوانين التي صدرت خلال السنوات (1887-1897-1927) والتي أدت إلى إجبار الريفيين على التوجه إما نحو المدن أو نحو الخارج.

ويتضح خلال الفترة 1936-1954 ارتفاع عدد سكان المدن إلى 1.430.000 نسمة بزيادة قدرها 710.000 نسمة تمثل نسبة 98% بينما وصل عدد سكان الريف إلى 6.410.000 نسمة وبزيادة سكانية قدرت بـ 500,000 نسمة، مما يؤكد استمرار ظاهرة نزوح الريفي إلى المدن.[2]

بعد الاستقلال نزحت 600 ألف نسمة سنة 1966 نحو المساكن الشاغرة في المدن بعد رحيل الفرنسيين، وتواصل هذا النزوح كنتيجة لتطبيق البرامج التنموية التي انتهجتها الدولة لنهوض بالقطاع الصناعي ابتدءا من سنة 1965، لترفع نسبة سكان المدن بحوالي 41% سنة 1977[3].

كما بلغ عدد المهاجرين خلال الفترة (1966-1977) أكثر من مليون و600 ألف نسمة.[4] وبالتالي تميزت الهجرة خلال فترة الاستقلال بارتباطها بعمليات التصنيع التي تركزت في المدن الساحلية.

---

[1]- عبد اللطيف بن أشنهو، مرجع سابق، ص 19.

[2]- محمد السويدي، مرجع سابق ،ص 86 .

[3]- Cherif Rahmani.Croissance Urbaine en Algerie,OPU,Alger.1982.P264.

[4]- Cherif Rahmani,op.cit.P87.

3.2ـ التصنيع:

وجدت الجزائر نفسها بعد إعلان الاستقلال أمام تركة ثقيلة، فمن مخلفات حرب التحرير التي انعكست على الريف وسكانه، إلى انهيار جميع المستويات الإدارية والاقتصادية (الصناعية، الزراعية، التجارة) والتعليم، كل هذه العوامل دفعت بالدولة لتركيز جهودها للخروج من حالة التخلف، وذلك بوضع مخططات للتنمية الاجتماعية والاقتصادية حيث جاء في مقدمتها النهوض بالقطاع الصناعي.

ولهذا كان التركيز على الصناعة بعد سنة (1966) للنهوض بالاقتصاد الوطني، خاصة في المدن الكبرى مثل عنابة (قطب الحديد والصلب) وقسنطينة (قطب الميكانيك) والجزائر وأرزيو (قطب البتروكيمياء) ووهران ومستغانم، مما أدى إلى تنشيط حركة الهجرة الريفية نحو هذه المراكز الحضرية بحثا عن فرص العمل.[1]

وقد تجسدت هذه السياسة التنموية من خلال المخططات التالي:

المخطط الثلاثي (1967-1969)، المخطط الرباعي الأول (1970-1973) والمخطط الرباعي الثاني (1974-1977). كان نصيب الصناعة في هذه المخططات 48.7% - 44.7% و43.6%، على الترتيب. كما أدت هذه السياسة إلى قيام الصناعة التحويلية والتطبيقية والصناعات الخفيفة، مما أدى لرفع الإنتاج الصناعي بنسبة 50%.[2]

من جانب آخر، لم يكن ارتباط التصنيع بالتحضر في الجزائر واضحاً في السنوات الأولى من الاستقلال، حيث أن تركز التصنيع في المدن الكبرى فقط أدى إلى نزوح ريفي نحو هذه المراكز الحضرية التي لم تكن تتوفر على المرافق الضرورية الكافية لاستيعاب المهاجرين

---

[1]- محمد السويدي، مرجع سابق، ص 67.

[2] - محمد بلقاسم حسن بهلول، سياسة تخطيط التنمية وإعادة تنظيم مسارها في الجزائر، نقلاً عن محمد ذرذاري، التحضر وأثره على الاندماج الاجتماعي بين القبائل في مدينة آفلو، رسالة ماجستر، جامعة الجزائر،2008.

الريفيين، مما نتج عنه ظهور الأحياء القصديرية في ضواحي المدن وهو ما انعكس عنه بروز مشكلة ترييف المدن، وقد استمرت هذه الوضعية وزاد من حدتها التمركز الصناعي.

3_ خصائص التحضر في الجزائر:

تبدو ظاهرة التحضر في الجزائر كظاهرة سكانية ناتجة عن ارتفاع نسبة الهجرة الريفية نحو المدن ابتداءً من انتهاء حرب التحرير وفتح المحتشدات حيث نزح السكان الريفيون نحو المراكز الحضرية مند سنة 1962. واعتبارا من سنة 1966 اكتست عملية التحضر طابعاً اقتصادياً.

ويميز الدكتور محمد السويدي ثلاث مستويات للتحضر خلال الفترة (1966-1977) هي كالآتي:[1]

_ نمو حضري متوسط: بلغت نسبته 30% - 40% وشمل مدينة قسنطينة وسيدي بلعباس، تلازمت مع معدل مواليد 3,2 % - 3,4 % سنويا، وكذا عنابة، سطيف، سكيكدة وتلمسان كونها مدنا صناعية.

_ نمو حضري شديد: نسبته 50%-80% وشمل الجزائر، وهران، عنابة، سطيف، سكيكدة وتلمسان كونها مدنا صناعية.

_ نمو حضري شديد جدا: تجاوزت نسبته (85%): البليدة، مستغانم، الشلف وباتنة سببه النزوح الريفي الكثيف خلال السبعينات.

ومن هذه المستويات التي ميزها السويدي، يمكن أن نتبين أهم خصائص التحضر وهي كالتالي:

أ.التباين بين أحجام التجمعات السكنية الحضرية:

لقد تنامى عدد السكان في التجمعات الحضرية مع مرور الزمن لتتحول المدن الصغيرة إلى مدن كبيرة حيث تشير الإحصائيات إلى أن عدد التجمعات قد بلغ 447 تجمعا سنة 1987

[1]- محمد السويدي، مرجع سابق، ص 83.

و 579 تجمعا سنة 1998، وقد أصبحت تلك المدن إما بلديات أو دوائر بفضل مهامها الإدارية.

ب.التركيز الصناعي:

لقد صاحب ظهور مراكز صناعية في الجزائر ظهور تمركز للتجمعات الحضرية، وهو ما توضحه الأمثلة التالية:

_ ظهور مدن صناعية منافسة للمدن السياحية مثل تلمسان، سكيكدة، غرداية وغيرها.

_ احتلال المدن الصغيرة التي تضم تجمعات حضرية لمراتب صناعية جيدة مثل الرمشي، حاسي مسعود.

_ مدينة الجزائر أقل ترتيبا عما كانت عليه كدليل على نجاح السياسة الحكومية في تقليص النمو الصناعي بالعاصمة.

ج.هيمنة المدن الساحلية:

تعود تهيئة المدن الساحلية لأسباب تاريخية أهمها الاستعمار الفرنسي واهتمامه الخاص بالمدن الساحلية وذلك لما تتوفر عليه من ظروف جيدة لإقامة المستوطنات والمناخ المعتدل، وبعد الاستقلال وجدت الجزائر هذه المركزية داخل تلك المدن، فعمدت إلى التقليل من هيمنتها والتركيز على إيجاد توازن جهوي.

المراجع:

- ابن الازرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ج2، تحقيق علي سامي النشار، دار السلام، القاهرة، 2008.
- أحمد أبو زيد، المدينة الاسلامية، مجلة عالم الفكر، المجلد 11 العدد 01، ماي 1980، الكويت.
- أحمد كمال وكرم حبيب، علم الاجتماع الحضري، دراسة بنائية ووظيفية لمجتمع الحضري، دار الجيل، القاهرة، 1985.
- أحمد كوال، التحضر، التحديث الحداثة في المجتمع المغربي الحديث، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2012.
- السيد الحسيني، المدينة، مطابع سجل العرب، ط1، القاهرة، 1980.
- السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، دار المعرفة، الاسكندرية، 1984.
- القطب وأبو عياش، الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية، نقلا عن الحسيني، مرجع سابق.
- أنيس الأبيض، معايير حضارية في نشأة المدينة الاسلامية،http: www.alhayat.com تاريخ الزيارة: 2016/10/23.
- بن حدة باديس، استراتيجية الحوكمة الإلكترونية في التوجه نحو تفعيل المدن الذكية، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الانسانية،2017.
- جمال حمدان، جغرافية المدن، ط2، دار عالم الكتب، القاهرة، د ت.
- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مشكلات المدينة: دراسة في علم الاجتماع الحضري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،2005.
- خليف مصطفى غرابية، منهجية الفكر الاسلامي في تخطيط المدينة العربية الاسلامية، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 8، العدد 01، 2015.
- دلندة الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال مصادره، مركز النشر الجامعي ميدياكوم، 2003.
- زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، عجايب المخلوقات وغرايب الموجودات، تر وتحقيق محمود عبد الإله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2013.
- ساعد خميسي، محاضرة بعنوان ابن عليوة والفلسفة، من كتاب التربية والمعرفة في مآثر الشيخ العلاوي.
- سعيد أحمد هيكل، علم الاجتماع الحضري، دار أسامة للنشر، الأردن،2011.
- سعيد ناصف، علم الاجتماع الحضري: المفاهيم والقضايا والمشكلات، دار الكتاب، 2006.
- سميرة لطرش وآمنة لحماري، المدن الذكية بين الواقع والتحديات، إمارة دبي الذكية نموذجاً، مجلة دراسات اقتصادية، مج08، ع01، جوان 2021.
- صبحي محمد قنوص، دراسات حضرية، الدار الدولية للنشر، القاهرة،1994.

- عبد الإله فرح، مقدمة في علم الاجتماع الحضري، http://www.almothaqaf.com تاريخ الزيارة: تاريخ الزيارة 2016/09/21.
- عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية، مراجعة نوري عباس العلواني، بغداد، 1986.
- عبد الحميد بوقصاص، النماذج الريفية الحضرية لمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي الحضري، د.م.ج، الجزائر، د.ت.
- عبد الحميد دلمي، دراسة في العمران، دار الهدى، عين مليلة.2007.
- عبد الرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2016.
- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، اعتناء ودراسة أحمد الزعبي، دار الأرقم، بيروت، 2001.
- عبد الرزاق عيسى، الفرابي في رحلة البحث عن المدينة الفاضلة، www.almasryalyoum.com تاريخ الزيارة 2016/10/11.
- عبد الرؤوف الضبع، علم الاجتماع الحضري، دار الوفاء، الإسكندرية،2003.
- عبد العال الشامي، جغرافية المدن عند ابن خلدون، نقلا عن عبد الحميد بوقصاص.
- عبد العزيز رأس مال، الحراك الاجتماعي في الجزائر، معهد العلوم الاجتماعية، الجزائر، 1983.
- عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع، دار الطليعة، بيروت، 2007.
- عبد الغني مغربي، الفكر السوسيولوجي عند ابن خلدون، تعريب محمد الشريف بن دالي حسين، دار القصبة، الجزائر،2006.
- عبد الفتاح محمد، في جغرافيا العمران، دار النهضة العربية، بيروت،1980.
- عبد اللطيف بن أشنهو، الهجرة الريفية في الجزائر، ترجمة عبد الحميد اتاسي، المطبعة التجارية، الجزائر، د.ت.
- عبد المنعم شوقي، مجتمع المدينة، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
- فاطمة طهراوي، التحولات المرفولوجية والوظيفية للسكن وآثارها على المحيط العمراني في الجزائر، مجلة إنسانيات، عدد5 ماي 1998.
- فهمي سليم العزوي وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق، عمان،2006.
- قباري محمد إسماعيل، علم الاجتماع الحضري ومشكلات التجهيز والتغيير والتنمية، دار المعارف، الإسكندرية.
- كايد خالد عبد السلام، جغرافيا المدن، دار الجنادرية، عمان، الأردن، 2017.

– مجموعة مؤلفين، المدن الذكية المستدامة والحلول الرقمية الذكية لتعزيز المرونة الحضرية في المنطقة العربية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، الأسكوا، الأمم المتحدة،2020.
– محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، د.م.ج، الجزائر،1990.
– محمد المعتصم، المدينة الاسلامية وخصائصها، حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 02،1980، جامعة قطر.
– محمد بلقاسم حسن بهلول، سياسة تخطيط التنمية وإعادة تنظيم مسارها في الجزائر، نقلاً عن محمد ذرذاري، التحضر وأثره على الاندماج الاجتماعي بين القبائل في مدينة آفلو، رسالة ماجستر، جامعة الجزائر،2008.
– محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة 6، بيروت، د.ت.
– محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006.
– محمد عباس ابراهيم، التنمية والعشوائيات الحضرية، دار المعرفة، الإسكندرية، 2008.
– محمد عبد الستار، المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، الكويت،1988.
– محمد محمود محمدين، المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، ط4، دار المريخ، القاهرة.
– محمد نصيح، محددات نشاة المدينة وتطورها بالمغرب الاقصى خلال العصر الوسيط، ضمن المدينة في تاريخ المغرب العربي، أشغال الندوة المنظمة 26/24 نوفمبر 1988، جامعة بنمسيك الدار البيضاء.
– محمد ياسر الخواجة، علم الاجتماع الحضري بين الرؤية النظرية والتحليل الواقعي، دار الإسراء، 2008.
– محمد ياسر خواجة، علم الاجتماع الحضري، دار الاسراء، القاهرة، 2008.
– محمود الكردي، التحضر دراسة اجتماعية، دار المعارف، القاهرة.1986.
– نصر محمد عارف، الحضارة – الثقافة– المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، ط2، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية،1994.
– هنوس ناذر، التدين في أوساط الشباب الحضري حالة مدينة سيدي علي بمستغانم، رسالة ماجستير،2016، جامعة وهران.
– يحيى عبد الحسن، النمو الحضري وأثره في اتجاهات التوسع العمراني في مدينة السماوة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، جامعة القادسية،2008.
–عذاب العزيز الهاشمي، المدن الذكية وأثرها على الاستدامة الاقتصادية: نظرة معاصرة في إطار المفاهيم والتجار، https://www.politics-dz.com
– طاهر عبد السالم حامد وآخرون، صياغة المفهوم العمراني للمدن الذكية، Journal of Urban Research, Vol. 21 Jun2016. P57.

باللغة الاجنبية:

- Castell, vers une théorie de la planification urbaine,maspero,Paris,1997,P 25.
- Cherif Rahmani,op.cit.P87.
- Cherif Rahmani.Croissance Urbaine en Algerie,OPU,Alger.1982.P264.
- Jaque Berque ,structure sociales du haut atlas, paris, puf,1955,P 256
- Jean-Marc Stébé, Herve Marchal, *La sociologie urbaine*, Presses universitaires de France, coll. Que sais-je ?, Paris,2007, P17